الفصل الرابع

علاقته بهشام بن عبد الملك

١ – فى خلافة يزيد بن عبد الملك

لم يفكر يزيد بن عبد الملك فى ولاية عهده إلاَّ بعد أن ثار عليه يزيد بن المهلب بالبصرة سنة إحدى ومائة ، ودعا إلى الرجوع إلى كتاب الله وسُنَّة نبيه[١] ، فَوَجَّه إليه جَيْشاً من أهل الشام جعل أخاه مسلمة بن عبد الملك أميراً عليه ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك نائباً له ، وقائداً لجند أهل دمشق خاصة .

وكان العباس بن الوليد بن عبد الملك هو أول مَنْ نبَّهوا يزيد إلى ولاية العهد وأهميتها فى هذا الظرف الحَرِج ، إذ أشار عليه أن يعقد البيعة لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولكن الأمر سار على خلاف ما أحب العباس ، فقد قَدَّمَ مسلمة بن عبد الملك أخاه هشاماً على ابن أخيه عبد العزيز ابن الوليد ، وأقنع أخاه يزيد بالمبايعة له ، فأخذ يزيد بنصحه وحجته ، وبايع لهشام بولاية العهد . وفى ذلك يقول المدائنى : «قال العباس بن الوليد بن عبد الملك ليزيد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أَهْلُ غَدْرٍ وإرجافٍ ، وقد وَجَّهْتَنا مُحَارِبِينَ ، والأحداث تحدث ، ولا آمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ، ولم يعهد ، فَيَفُتَّ ذلك فى أعضاد أهل الشام ، فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين . أَيُّما أَحَبُّ إليك : وَلَدُ عبد الملك أو وَلَدُ الوليد ؟ فقال : بل وَلَدُ عبد الملك . قال أَفَأَخُوكَ أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن فى ولدى فأخى أحق بها من ابن أخى . قال : فابنك لم يَبْلُغْ ، فبايع لهشام . ثم لابنك بعد هشام . قال : والوليد يومئذٍ ابن إحدى عشرة سنة ، قال : غداً أبايع له . فلمّا أصبح فعل ذلك ، وبايع لهشام ، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ، ولا يُغَيِّر عهده ، ولا يَحْتَال عليه»[٢] .

فمسلمة بن عبد الملك إنما نظر إلى ولاية العهد نظرةَ وراثية عصبية محضة ، أما العباس بن الوليد فكشف عن رغبة أبناء الوليد بن عبد الملك فى عودة الخلافة إليهم ، معتمداً على مكانة أبيه وشهرته .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٤ .

(٢) الأغانى ٧ : ٢ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ ، ٣٢٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٠ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ حـ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

وترشيحه لابنه عبد العزيز أن يقوم بأمر المسلمين بَعْدَه ، وتَأَتِّيهِ لذلك[٣] ، ولكنه مات قبل أن ينجح فى صَرْفِ أخيه سليمان بن عبد الملك عن ولاية عهده ، فظلت الخلافة فى أعمامهم ، ثم أخرجها سليمان إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو حفيد فرع من فروع الأسرة المروانية لم يكن له شأن فى الحكم بالقياس إلى عبد الملك بن مروان وأبنائه ، ثم عادت إلى يزيد بن عبد الملك ، فتخطاهم إذ عهد بها لهشام ، ثم لابنه الوليد بن يزيد ، فخاب أملهم مراراً ، وتَبَرَّمو ، وامتعضوا من عمهم يزيد بن عبد الملك امتعاضاً شديداً أثَّر فى موقفهم من ابنه الوليد خلال ولايته للعهد ، وأيام خلافته ، فَنَهَشُوهُ بألسنتهم ، ونَاصَبَهُ العداءَ بعضهم ، ولم يزالوا يتربصون به حتى قتلوه وانتزعوا الخلافة منه .

ولم يكن يزيد بن عبد الملك سعيداً بولاية أخيه هشام لعهده ، بعد أن بلغ ابنه الوليد فى حياته سنَّ الخامسة عشرة ، فقد ألم لعقده البيعة لهشام ، وندم ، وكان يُرَدِّد كلما رأى الوليد أو مسلمة : « اللهُ بينى و بين من جَعَلَ هشاماً بينى وبينك »[٤] . ولم يقف عند الألم والندم ، وإنما سعى إلى عزل هشام عن ولاية عهده ، إذ يذكر اليعقوبى أنه بعث خالد بن عبد الله القسرى إلى هشام يُزَيِّن له خلع نفسه من ولاية العهد على أن الجزيرة طعمة له . قال خالد : فأتيته فذكرت له ذلك فأسرع إلى الإجابة فقلت له : أيها الإنسان ، إن استشرتنى وعاهدتنى على أنْ تَكْتُمَ علىَّ أشرت عليك . فقال : قد استشرتك ، ولك عهد الله أن أكتم عليك . فقلت : إنما هى أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك . قال : فكيف بالسلامة من يزيد ؟ قلت : عَلَىَّ ! قال : افعل ما بَدَا لك فإنها يدٌ مشكورة لك . فانصرفت إلى يزيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنى أتيت رجلاً صعباً ، فأنشدك أن لا تُوقِعَ العداوة والشر بينكم ، وتوجدوا الناس السَّبيل إلى الطعن فيكم ، والاختلاف عليكم ، ولكن تُصَيِّرُ الوليد وَلِيَّ العهد بعد أخيك . فَرَكَنَ إلى ذلك وفعله ، فمازال هشام يشكر ذلك لخالد حتى وَلىَ الخلافة فَوَلاَّه العراق[٥] .

وكان هشام يطمح إلى الخلافة منذ نهاية القرن الأول ، إذ كان يرى أنه أجدر إخوته بها ، وكان يظن أن أخاه سليمان انتخبه لها ، فلمَّا لم يتأكد من ذلك استاء واضطرب ، يتضح من قول رجاء بن حيوة الكندى الفقيه القاضى كاتم أسرار سليمان : لقينى هشام بعد أن كتب سليمان كتاب عهده ، وجمع أهل بيته ، وسألهم أن يبايعوا من وَلَّى عليهم فيه ، فبايعوا له فقال لى : « يا رجاء . إن لى بك

---

(٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٠٦ .

(٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٢ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ .

(٥) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

حُرْمةً ومَوَدَّةً قديمة ، وعندى شُكْر ، فأعلمنى هذا الأمر ، فإن كان إلىَّ عَلِمْتُ ، وإن كان إلى غيرى تَكلَّمتُ ، فليس مِثْلى قُصِّرَ به ، فأَعْلِمنى فلك الله علىَّ ألّا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأَبَيْت فقلت : والله لا أخبرك حَرْفاً واحداً ممَّا أُسِرَّ إلىّ . قال فانصرف هشام وهو قد يئس ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى مَنْ إذاً نُحِّيتْ عنّى ! »[٦] .

وكان هشام ينافس عمر بن عبد العزيز فى الخلافة ، ويعتقد أنه أحق بها منه ، فعارض استخلافه بقوة ثم لم يلبث أن أَقَرَّ به بعد أن هُدِّد ، مما يدل عليه قول رجاء بن حيوة : لما مات سليمان « خرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسى[٧] فجمع أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا فى مسجد دابق ، فقلت : بايعُوا ، فقالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى ! قلت : هذا عهد أمير المؤمنين ، فبايعوا على ما أمر به ، ومن سَمَّى فى هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أنى قد أحكمت الأمر ، قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك : لا نبايعه أبداً ، قلت : أضربُ والله عُنُقَك ، قُمْ فبايع ، فقام يَجُرُّ رجليه »[٨] .

وكان هشام ينازع أخاه يزيد فى الخلافة ، ويصرح بأنه أولى منه بها ، وكان عاتباً على أخيه سليمان لأنه قدم يزيد عليه ، وجعله وَلِيًّا للعهد بعد عمر بن عبد العزيز ، إذ يروى أنه كان يقول : « لأَشْكُوَنَّ سليمان أخى إلى الله يوم القيامة لاختياره يزيد بن عبد الملك عَلَىَّ »[٩] .

فكان لاعتداد هاشم بنفسه ، وطَمَعه فى الخلافة ، وتفكير أخيه يزيد فى صَرفِهِ عن ولاية عهده ، واحْتِيالِهِ له دورٌ كبيرٌ فى رسم علاقته به ، وتحديد صلته بابنه الوليد ، فأخذ يشك فى يزيد ، ويَرْتَاب منه ، وينقم على الوليد ، ويضيق به ، ثم عظمت مخاوفه وهواجسه ، فاستطال خلافة يزيد ، واستعجل موته ، وضجر بالوليد ضجرًا مُرًّا ، وسخط عليه سخطاً شديداً ، ولكنه كان داهيةً فأضمر عواطفه ، ولم يجهر بها إلاَّ لخاصته ، وكان يُنْكِرُ ما يبلغ يزيدَ عنه ، ويعتذر إليه منه كلما راجعه فيه ، ناسباً كل ما يُنْقَلُ إليه عنه إلى أهل السوء والوشاية ، وبالغ فى مداهنته ليزيد ومنافقته له ، إذ يذكر

---

(٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥١ .

(٧) هو قائد الشرطة سليمان . انظر تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٣١ ، وتاريخ البطرى ٦ : ٥٥١ .

(٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٢ .

(٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٤٤ .

بعض المؤرخين أنه ارتحل إليه ، ولم يزل فى جواره إلى آخر أيامه مخافة أهل البغى والسعاية[١٠] !

٢ – فى صَدْرِ خلافة هشام

مات يزيد بن عبد الملك ، فاطمأن هشام إلى مستقبله ، إذ فاز بالخلافة ، ولم يَعُدْ أَحَدٌ يُغَالِبُهُ عليها أو يَعْمَلُ لإبعاده عنها . وفيما يروى عن المدائنى أنَّ هشاماً كان فى بَدْءِ أَمْرِهِ مُعَظِّماً للوليد ، مُقَرِّباً له ، مُحْسِناً إليه ، وأنه مكث على ذلك أعواماً ، ثم تَغَيَّرَ له ، وجَفَاهُ ، ونقم عليه ، لما ظهر من مجونه واستخفافه[١١] .

وقد دَلَّتْ أخبار الوليد وأشعاره على أنه أَسْرَفَ فى طلب الملذات ، وأمضى أيام شبابه يستمتع بكل ما قدر عليه من المباهج والمسرات ، ويعيش بحرية وانطلاق ، دفعه إلى ذلك نشأته المترفة فى قصر أبيه ، وما كان يشعر به من تَفَوُّقٍ على أترابه من الأمراء الأمويين ، إذ كان يعرف أنه وَارِثُ الخلافة بعد حين .

ويبدو أن كَلَفَ الوليد بالملاهى لم يكن السبب الحقيق فى كُرْهِ هشامٍ له ، وسخطه عليه ، فإن الإقبال على الملاهى كان سمة من سمات الحياة فى مطلع القرن الثانى ، ولم ينفرد الوليد بسماع الغناء ، والخروج للصيد ، ومعاقرة الشراب ، فقد كان هشام نفسه مُنَعَّماً يبذخ فى حياته الخاصة بذخاً غريباً ، وكان ابناه مسلمة[١٢] وسعيد[١٣] ممن أفرطوا فى المجون ، وأدمنوا الشراب . وبان من استقصاء أخبار عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ونَقْدِها وتَمْحِيصها أنه لم يكن زنديقاً ، وأنه لم يكن له تأثير فى سلوك الوليد ، فإنَّ هشاماً هو الذى لَفَّقَ تُهْمَةَ الزندقة لعبد الصمد ، ورَماه بها ، لِيُشَهِّرَ بالوليد وَيَنالَ منه .

ولكن رغبة هشام فى عَزْلِ الوليد عن ولاية العهد ، والمبايعة بها لابنه مسلمة بن هشام هى السبب الحقيق فى تَنَكُّرِ هشامٍ للوليد ومعاداته له ، ويُصَرِّحُ المدائنى بذلك إذ يقول : « لم يزل الوليد مكرماً

---

(١٠) العقد الفريد ٤ : ٤٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، المجلد ١٨ ، الورقة ١٦٢ ظ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والأغانى ٧ : ٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

(١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٢٥ .

(١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥٢ .

عند هشام ، رفيع المنزلة مُدَّةً ، ثم طمع فى خلعه ، وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام ، فجعل يَذْكُر الوليد بن يزيد وتَهَتُّكَهُ وإدمانه الشَّرابَ ، ويَذْكُر ذلك فى مجلسه ، ويقُومُ ويَقْعُدُ به»[١٤] .

ولما لهذا الجزء من أخبار الوليد التى رَوَاهَا المدائنى من أهمية فى تفسير بُغْضِ هشام للوليد ، فإن أغلب المؤرخين[١٥] أهملوه ، وتَمَسَّكوا بما فيه طعن على الوليد . وكان رواة اليمنية كمحمد بن مزيد الخزاعى أَشَدَّ الإخباريين افتراءً على الوليد ومؤدِّبه عبد الصمد[١٦] وأضاف عبد الله بن عياش الهمدانى ، والهيثم بن عدى الطائى أن الوليد كان مُعْلِناً للفسوق واللذات ، مستهتراً بشرب الخمر ، لا يكاد يُصَلِّى[١٧] !

وليس هشام هو أول خليفة أموى سعى إلى تنحية وَلِىِّ عهده من غير وَلِده ، فقد سعى إلى ذلك أكثر الخلفاء الذين سبقوه ، إذ حاول عبد الملك بن مروان عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية عهده ، وعقد البيعة لابنه الوليد ، وكاد الخلاف بينهما يستفحل لولا موت عبد العزيز[١٨] . واجتهد الوليد بن عبد الملك فى صرف أخيه سليمان عن ولاية عهده ، وأخذ البيعة لابنه عبد العزيز ، وحثَّ الشعراء والولاة على تأييده ، فشايعه جرير بن عطية ، والحجاج بن يوسف ، وقتيبة بن مسلم ، فحال الموت بينه وبين تحقيق ما رَمَى إليه[١٩] . « وكان عبد الملك بن مروان أخذ على الوليد وسليمان أن يُبَايعا لابن عاتكة ، ولمروان بن عبد الملك من بعده ، فمات مروان بن عبد الملك فى خلافة سليمان ومُنْصَرَفُهُ من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروان لأيُّوب ، وأمسك عن يزيد ، وتربص به ، ورجا أنْ يهلك ، فهلك أيوب وهو وَلِىُّ عهده»[٢٠] ، ففكر فى البيعة لابنه داود ، ثم عَدَل عنها ، واستخلف وهو يحتضر عمر بن عبد العزيز[٢١] . وأراد يزيد بن عبد الملك أن يخلع أخاه هشاماً عن ولاية عهده ، ويبايع لابنه الوليد ، وتوسل إلى ذلك ، فعاجله الموت قبل أن يُتمَّ ما أراد[٢٢] .

---

(١٤) الأغانى ٧ : ٣

(١٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والأغانى ٢ : ٢٣٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ

(١٦) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

(١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(١٨) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٣٣ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٨٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ٥٩ .

(١٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٣ .

(٢٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

(٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، والمعارف ص : ٣٦١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٠٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٠٢ .

(٢٢) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

فولاية العهد أَرَّقتِ الخلفاءَ الأمويين ، وخاصة حين كان تخرج منهم إلى إخوانهم بِعَهْدٍ من الخلفاء الذين سبقوهم ، فكانوا يطيلون التدبير لِرَدِّها إلى أبنائهم . ولكن أكثر الخلفاء إنما كانوا يحتالون فى آخر أيامهم لتحويل ولاية العهد إلى أبنائهم ، مما كان يفسد علاقتهم بإخوانهم ، فكان الموت المفاجئ لِوَلِيِّ العَهْدِ المبايع ، أو لِوَلِيِّ العهد المرشح ، أو للخليفة القائم يَضَعُ حَدًّا لتخاصمهم ، ويَمْنَعُ تَصادُمهم .

وتَعَلَّم هشامٌ من محاولات الخلفاء السابقين ، واستفاد من تجاربهم الفاشلة ، فاهتم فى مطلع خلافته بخلع الوليد بن يزيد ، وعَقْدِ العهد لمسلمة بن هشام ، وعزم على ذلك ، وصمم على تنفيذه فى حياته . فساءت صلته بِوَلِيِّ عهده الشرعى ، وكان أن امتدت بهما الأيام ، فزادت من كُرْهِ أحدهما للثانى ، وضاعفت من كَيْدِ كل منهما للآخر .

ويروى البلاذرى أن الوليد وافق على أن يقوم مسلمة بن هشام بالخلافة بعده ، إذ يقول : « لم يزل عمر بن هبيرة الفزارى يتأتَّى لهشام حتى أنس به ، فقال له يوماً : هل لك فى أمر لم يطمع فيه أحد ، ولم يعرضه عليك قبلى أحد ؟ قال : وما هو ؟ قال : أعمل لك من قبل الوليد بن يزيد فى البيعة لمسلمة ابن أمير المؤمنين . قال : أوَ تفعل ؟ قال : نعم ، قال : فإن فعلت وَلَّيْتَكِ العراق . فأتى ابن هبيرة الوليد فقال له بعد حديث طويل جرى بينهما : أيها الأمير ، لم نزل نَلْقَى مثلما تلقى من هذا الأحول فيك . قد عَلِمَ خُؤُولتنا لك ، ومَيْلَنا إليك ، فهو يُجَرِّعُنا الغَيْظَ بسببك ، لتصغيره إياك مرة ، وتَهَدُّده مرة ، ولست آمنه عليك ، فإن أذنت لى عملت لك فى أمر يُتَعَجَّلُ نَفْعُه ، وتَأْمَنُ به ، ثم الأمر فيه إليك . قال : وما هو ؟ قال : تدعو هشاماً إلى أن يعقد الأمر بعدك لابنه أبى شاكر ، ويَتَعجَّل لك منه مالاً رغيباً جليلاً ، فإن حَدَثَ بهشامٍ حَدَثٌ ، نظرت فى أمرك ، فإن شئت خلعت مسلمة ، وعقدت الأمر لمن أحببت ، فقد علمت طاعتى فى قيس ، وهم أخوالك ، فالأمر مُنْتَهٍ إلى ما رأيت وأردت . قال : أفعل . فأتى (عمر) هشاماً فقال : قد أحكمت الأمر ، فهات العهد على العراق ، فإذا بويع لمسلمة مضيت ، فأعطاه عهداً . وكان خالد (بن عبد الله القسرى) يخاف ابن هبيرة خوفاً شديداً ، فيقال : إنه دس رجلاً فضرب مضرباً فى طريق ابن هبيرة إلى هشام ، فلما مر به قام إليه فقال : أنا مولاك ، وقد لَغَبْت[٢٣] ، فهل لك فى شربة عسل تُخَوَّضُ بماء بارد ؟ فشربها ، ثم نهض يريد منزله ، وفَوَّضَ الرجل مضربه ، وانْشَمَرَ[٢٤] ، ومات ابن هبيرة من يومه ، ويقال : إنه فُلِجَ فمات »[٢٥] .

---

(٢٣) لَغَبَ : تَعِبَ وأعْيَاه إعياءً شديداً .

(٢٤) انشمر : مَرَّ جادًّا .

(٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ .

ولو كان الوليد قَبِلَ بأن يكون مسلمة بن هشام ولياً للعهد بعده ، وأجاز ذلك وأقره ، لما ظل يخالف هشاماً فيه مخالفةً قويةً إلى آخر حياته . وربما وضع القيسيةُ الخبرَ تشهيراً باليمنية وزعيمهم خالد القسرى .

ويبدو أن هشاماً اقتصر فى المرحلة الأولى من تدبيره لعزل الوليد عن ولاية العهد على الإعراب عن الاستياء منه ، والتذمر من قلة اكتراثه بمكانته ، مع التنديد به ، والتجريح به ، لِيُقْنِعَ خاصته بِذَمِّه وعَيْبِه ، ويوحى إليهم بالمطالبة بخلعه . ولما وثق من نجاح دعايته بدمشق ، قرّر أن يبعث أعوانه إلى المدينة ومكة ليهاجموا الوليد بهما ، ويُوغِرُوا صدور أهلها عليه ، ويُحَرِّضُوهم على المطالبة بإعفائه من ولاية العهد ، وأن يَسْتَغِلَّ موقف أهل المدينتين منه استغلالاً سريعاً ، فأرسل الوليد سنة ست عشرة ومائة على رأس بعثة الحج الشامية ، وفى غاية هشام السياسية الكيدية يقول المدائنى : « وَوَلاَّه الحجَّ لِيَظْهَرَ منه التَّهتكُ وإدمانُ الشراب بالحرمين فيسقط »[٢٦] .

فَشَهَّر أعوان هشام بالوليد فى مكة والمدينة وافتروا عليه ، وربما كانوا مصدر اتِّهامه بإهمال الحج ، والاشتغال باللهو . وآثار تشنيعهم عليه فى رواية المدائنى التى أخذها عنه تلميذه البلاذرى موجزة ضعيفة ، إذ يقول فيها : « فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً ، وأمر مولى له يقال له : عيسى بن مقسم فصلى بالناس »[٢٧] . أما عند بقية تلاميذ المدائنى وغيرهم من الإخباريين والمؤرخين والأدباء من أهل الأهواء فوسعة فيها كثير من التزييف والتخليط ، على نحو ما يتضح فى قول محمد بن مزيد الخزاعى الوضاع : « فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلى بالناس ، وبعث إلى المغنين فَغَنَّوه . . . فتكلَّم أهل الحجاز ، وقالوا : أهذا وَلِىُّ عهد المسلمين ! »[٢٨] ، وفى قول أحمد بن زهير : « فحمل معه كلاباً فى صناديق ، فسقط منها صندوق عن البعير وفيه كلب ، فأجالوا على الكرىِّ السياط ، فأوجعوه ضرباً . وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمراً ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها ، فخوفه أصحابه ، وقالوا : لا نأمن الناس عليك وعلينا معك ، فلم يحركها . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به »[٢٩] .

وعلى ما فى رواية المدائنى التى نقلها عنه البلاذرى من إيجاز واعتدال ، فإن ما ينسب إليه فيها من

---

(٢٦) الأغانى ٧ : ٣ .

(٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية . المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وقارن بالأغانى ٧ : ٣ .

(٢٨) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

(٢٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

أنه أمر مولاه عيسى بن مقسم بالحج والصلاة بالناس ، لم يقطع به خليفة بن خياط ، إذا يؤكد أن الوليد هو الذى أقام الحج[٣٠] ، ويَنُصُّ على أن أبا اليقظان أحد رواة اليمنية وغلاة الشيعة هو الذى ذكر أن عيسى بن مقسم ناب عن الوليد فى الحج والصلاة بالناس»[٣١] .

وأما ما أشيع من أن الوليد ترك الحج ، وخلا إلى المغنين ففيه تعميم كثير ، فقد انكشف من تتبع أخبار لقائه بالمغنين أثناء حجه أنه إنما سمع ثلاثة منهم هم : يحيى مولى العبلات المعروف بفيل[٣٢] ، والأبجر المكى[٣٣] ، وابن عائشة المدنى[٣٤] . وهو فى اتصاله بهم مصادفة ، أو استدعائه لهم ، وإصغائه لغنائهم ، لا يَنِدُّ عن سائر الخلفاء والأمراء الأمويين ، فقد التقوا بالمغنين فى الحج ، وطربوا لغنائهم ، وأسْنَوا العطاء لهم . وما فى أخبار التقائه بالمغنين من تهويل إنما هو من صُنْعِ رواةِ اليمنية وكُتّابِ العباسيين !

والفرق بين نص رواية المدائنى الذى حمله البلاذرى ، وبين نصها الذى نقله محمد بن مزيد الخزاعى ليس بخافٍ ، إذ أقحم فيه محمد بن مزيد كلمة الدين ، فأصبح استخفاف الوليد عنده استخفافاً بدينه ، وأضاف جملةً جديدةً لم يوردها البلاذرى ، تفيد أن أهل الحرمين أزروا بالوليد ، واحتجوا على اختياره وليًّا لعهد المسلمين !

ولا أصل لما رواه أحمد بن زهير من أن الوليد أخذ معه كلاباً فى صناديق ، أو خمراً ، أو قبةً ليضعها فوق الكعبة ويشرب فيها ، ولا أصداء له عند غيره من تلاميذ البلاذرى . وهو يخلط بين حج الوليد أثناء ولايته للعهد ، وبين تفكيره فى الحج خلال خلافته . وتحذير خالد بن عبد الله القسرى له ، لأن اليمنية من أنصار يزيد بن الوليد أضمروا قتله .

وأول من غمز الوليد بأنه خَطَّطَ لتشييد مقصف له فوق ظهر الكعبة هو اليعقوبى ، إذا اتهمه بذلك فى سياق تقويمه لسياسته وخلافته ، فهو يقول : «كان الوليد مهملاً لأمره قليل العناية بأطرافه . وكان صاحب ملاه وقيان وإظهار للقتلِ والجورِ ، وتشاغل عن أمور الناس ، وشربٍ

---

(٣٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٢ ، وانظر تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ و .

(٣١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤١ .

(٣٢) الأغانى ٩ : ٢٧٥ .

(٣٣) الأغانى ٣ : ٣٤٦ .

(٣٤) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

ومجونٍ ، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبنى على الكعبة بيتاً يجلس فيه لِلَّهو ، وَوَجَّه مهندساً لذلك »[٣٥] .

وأحمد بن زهير من القدرية الذين ثار متقدموهم بالوليد مع يزيد بن الوليد ، ومن أتباع العباسيين[٣٦] ، وكأنه مزج فيما سرد من أخبار الوليد بين رواية المدائنى وتشنيع اليعقوبى ! وهو معاصر لليعقوبى ، فقد توفى سنة تسع وسبعين ومائتين .

وكرَّر اتهام اليعقوبى للوليد الشريف المرتضى ، ودسَّ فيه تفصيلاتٍ أخرى من اختراعه زيادةً فى الطعن على الوليد والتحطيم له ، إذْ ذكَرَ أن المهندس كان مجوسيًا ، وأنه صعد فوق ظهر الكعبة ، وشرع فى تحديد قواعد المقصف ! فهو يقول : « كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ، ويشرف على الطواف ، فقال بعض الحجبة : لقد رأيت المجوسىَّ البَنَّاءَ فوق الكعبة يُقَدِّرُ مواضع أركان القُبَّة ، فلم تمس تلك الليلة حتَّى وَافَى الخبرُ بقتل الوليد »[٣٧] .

والغالب أن اليعقوبى هو الذى صنع خبر تَوْجيهِ الوليد مهندساً لِيُنْشِئْ له مقصفاً فوق ظهر الكعبة ، ثم أخذه عنه معاصروه من الإخباريين كأحمد بن زهير ، وتشبث به الأدباء من الشيعة كالشريف المرتضى ، ومن غيرهم كابن القارح[٣٨] ، ثم نقله عنهم المؤرخون المتأخرون كابن الأثير[٣٩] ، والذهبى[٤٠] وابن شاكر الكتبى[٤١] ، وابن كثير[٤٢] ، والسيوطى[٤٣] .

وليس ببعيد أن يكون الوليد فكر حين عزم على الحج فى خلافته أن ينظر إلى الحجيج من فوق ظهر الكعبة ، فإن ابن عساكر احتفظ بنص مصدره صالح بن سليمان[٤٤] يشير إلى ذلك ، فهو يقول : « أراد الوليد بن يزيد الحج ، وقال : أُشْرِفُ فوق ظهر الكعبة . فَهَمَّ قوم أن يفتكوا به إذا خرج .

---

(٣٥) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ .

(٣٦) ترجمته فى الفهرست ص : ٢٣٠ ، وتاريخ بغداد ٤ : ١٦٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٢٨ .

(٣٧) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٦ .

(٣٨) رسالة الغفران ص : ٣٣ .

(٣٩) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ .

(٤٠) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة ١١١ ظ .

(٤١) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ و .

(٤٢) البداية والنهاية ١٠ : ٢ : .

(٤٣) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٠ .

(٤٤) ترجمته فى لسان الميزان ٣ : ١٧٠ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٥ .

فجاءوا إلى خالد بن عبد الله القسرى فسألوه أن يكون معهم[٤٥] ، فأبى ، فقالوا له : اكتم علينا . فقال : أما هذا فنعم ، فجاء إلى الوليد فقال له : لا تخرج فإنى أخاف عليك . قال : ومن هم الذين تخافهم على ؟ قال : لا أخبرك بهم»[٤٦] .

فَصَحَّف اليعقوبى فى قراءة كلمة « أُشْرف » فى الجملة الأولى من النص ، إذ ظَنَّه باءً لا فاءً ، فأصبحت الكلمة « أشرب » ، فتغيرت بها دلالة الجملة تغيراً تاماً ، إذ غدت « وقال أَشْرُبُ فوق ظهر الكعبة » ، فَوَلَّد اليعقوبى منها خبراً جديداً !

ويبدو أن تصحيف الكلمة فى النص الذى حمله ابن عساكر قديم ، فإن الذهبى نقل النص برمته صحيحاً إلا الجملة الأولى منه ، فإنه أثبتها محرفة ، إذ يقول : « قال صالح بن سليمان : أراد الوليد الحج وقال : أشرب فوق ظهر الكعبة »[٤٧] .

وأقوى دليل على أن الجزء الخاص بحج الوليد من رواية المدائنى قد عُبِثَ به ، وزِيدَ عليه ، إن الجزء السابق له ، والجزء اللاحق به منها مما يتعلق بسلوك الوليد وعلاقته بهشام قبل الحج وبعده ليس فى نَصِّها أو مضمونها أى اختلاف أو تحريف ، فهما يتشابهان عند المؤرخين جميعاً .

ويستفاد من بقية رواية المدائنى فى صورتها المفصلة الوافية عند البلاذرى[٤٨] والطبرى[٤٩] ، وأبى الفرج[٥٠] ، وابن الأثير[٥١] ، وفى صورتها المختصرة الملخصة عند ابن شاكر الكتبى[٥٢] ، وابن كثير[٥٣] أن الوليد لم يكد يعود من الحج حتى دعاه هشام إلى خلع نفسه من ولاية العهد ، مُسَوِّغاً دعوته له بما بلغه من استهتاره وخلاعته فى حجه ، فأبى ، فسأله أن يوافق على المبايعة بها بعده

---

(٤٥) انظر تحذير خالد له من الحج أثناء خلافته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ ، ٢١ .

(٤٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٨١ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٦٥ ظ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، وتاريخ دمشق ، مصورة المكتبة الظاهرية عن نسخة أحمد الثالث ، ترجمة الوليد بن يزيد .

(٤٧) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ .

(٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .

(٤٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(٥٠) الأغانى ٧ : ٣ .

(٥١) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ .

(٥٢) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦ و .

(٥٣) البداية والنهاية ١٠ : ٢ .

لمسلمة بن هشام ، فرفض ، فتنكَّر له هشام ، وأضَرَّ به ، وجعل يَشْتُمهُ ويَتَنَقَّصُه .

وعندما لم يَتَحَقَّقْ لهشام ما تَوَخَّاه من عزل الوليد أو الإبقاء عليه ، وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، عمل سرًّا وجهراً فى خلعه وطلب من أهل الشام أن يؤيدوه فى ذلك(٥٤) ، فأجابه إلى إرادته خلق كثير . وكان ممن أَجَابُوه ابناه يزيد(٥٥) وسليمان(٥٦) ، وأخوه سعيد بن عبد الملك(٥٧) ، وخالاه وعاملاه محمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومى(٥٨) . والوليد بن القعقاع بن خليد(٥٩) العبسى ، واليه على قنسرين ، وأخوه عبد الملك واليه على حمص(٦٠) ، ومحمد بن مُسْلِم الزهرى(٦١) ، قاضيه ومعلم ولده ، إذ كان يقدح أبداً عند هشام فى الوليد ، ويعِيبُه ويقول : ما يَحِلُّ لك إلاَّ خَلْعُه(٦٢) ، وآزر هشاماً أيضاً كثيرون من بنى أمية ومن خاصته الذين لم يذكَر المؤرخون أسماءهم(٦٣) .

---

(٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ .

(٥٥) الأغانى ١٦ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ .

(٥٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ .

(٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١٢٤ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٢٥ الورقة : ١٨ ظ .

(٥٩) كانت وَلاَّدَة بنت العباس بن جزء بن الحارث العبسى زوجاً لعبد الملك بن مروان ، وهى أم ابنيه الوليد وسليمان . وابن عمها القعقاع بن خليد بن جزء نسبت إليه حِيَارُ بنى القعقاع ، وهى قرية بالشام لبنى عبسى ، وأخوه الحصين بن خليد كان سيداً بالشام . (أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الأول ص : ١١٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١٠٠) .

وكان من بنى عبسى صاحب شرط هشام ، وهو كعب بن حامد العبسى ، أقره هشام ثلاث عشرة سنة ، ثم وَلاَّه أرمينية ، وولىَّ الشرط يزيد بن يعلى بن ضخم العبسى . (تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨) .

(٦٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ . ويقول أبو الفرج : إن من أيَّد هشاماً من بنى القعقاع هم : الوليد ، وعبد العزيز ، وخالد . (الأغانى ٧ : ٣) .

(٦١) ترجمته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٤٦٨ ، والطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٨ ، وطبقات الفقهاء ص : ٦٣ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة ١٣ و ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٤٠ .

(٦٢) الأغانى ٧ : ١١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ و ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس الورقة : ١١١ظ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

أما أبناء الوليد بن عبد الملك ، فمع أنهم كانوا يزاحمون الوليد ، ويحسدونه ، ويُطَاوِلُونه فى وراثة المُلْكِ ، فإنهم لم يساندوا هشاماً فى اجتهاده لإقالة الوليد ، لأنه إنما كان يبتغى من إقالته تنصيب ابنه مسلمة خلفاً له ، مما لم يكن يَرُدُّ عليهم نفعاً عاجلاً ، ولا كان يُقَرِّبهم من الخلافة ، أو يجعل لهم حظًّا فيها ، فاكتفى العباس وعمر[٦٤] ابنا الوليد بن عبد الملك بالهُزْءِ من الوليد والإزراء به[٦٥] . أما أخوهما يزيد فكان يتوقع أن تَسْنَح له الفرصة فينقض على الوليد ويطيح به ، إذا استخلف ويغتصب الخلافة منه اغتصاباً ، إذ يروى أنه شاهد الوليد فى الحج ، فلما رآه يطوف بالبيت قال : « ورَبِّ هذه البِنْيَة إن هذا الذى يَطُوف لَكَافِرٌ بهذه البِنْية ، ولئن وَلِىَ أمْرَ الأمة وأنا حَىٌّ لأُجَاهِدَنه »[٦٦] .

ولكن هشاماً أخفق فى إقصاء الوليد عن ولاية العهد ، وفشل فى أخذ البيعة لابنه مسلمة ، بالرَّغْم من سعيه الدائم ، وانتصاره ببعض إخوته وأبنائه وأولاد إخوته وأخواله وعماله وأتباعه . فظل أسيراً لأمله البعيد . مغيظاً من الوليد ، حانقاً عليه ، منتظراً الفرصة التى تُمكِّنُهُ من تنحيته . وكان فى أثناء ذلك لا يتوقف عن مهاجمته والكيد له . واشتط فى التشنيع عليه حتى رماه فى دينه ، إذ يروى أنه قال له : « ويحك يا وليد ! والله ما أَدْرى أعَلَى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المُنْكَرِ إلاَّ أَتَيْتَهُ غير مُتَحاشٍ ولا مُسْتَتِرٍ به »[٦٧] . فَقدَّر الوليد أنه أوشك أن يُوقِعَ به . إذ اتهمه بالفسوق والمروق من الدين ، فدافع عن نفسه دفاعاً دقيقاً فيه الذكاء والدهاء ، وفيه الخبث والمكر ، فقد أجابه ببيتين من الشعر أعلن فيهما أنه على مثال ابنه مسلمة ، وأنه يتخذه إماماً له يقتدى به فى حياته ، فهو يؤمن بعقيدته ، ويعاقر الشراب على شاكلته ، يقول[٦٨] :

---

(٦٤) فى تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ عمرو . والصواب عمر ، كما فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، والأغانى ٧ : ٤ ، جمهرة أنساب العرب ص : ٨٩ .

(٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(٦٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٨ .

(٦٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، والورقة : ١٦ حـ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

(٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ ، ١٦ : ٢٧٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ح ٥ ، الورقة : ١٦ و ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ ، والحور العين ص : ١٩٠ .

يا أيُّها السَّائِلُ عنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلى دينِ أبى شاكِرِ[١٦٩]
نَشْرَبُها صِرْفاً ومَمْزُوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفَاتِرِ

فنجح الوليد فى الإيقاع بين هشام وابنه ، إذ غضب هشام على مسلمة ، ووبَّخه بمثل قوله له : « يُعَيِّرُنى الوليد بك ، وأنا أُرَشِّحُكَ للخلافة ! ، فألْزَمَهُ الأَدَبَ وحَضُورَ الصلوات والجماعات »[٧٠] ، واستراح الوليد من هشام وشره وغدره إلى حين ، فقد شغَله بِنَفْى تُهْمَةِ الانسلاخ من الدين ، والإغراق فى المجون عن ابنه ، فَشَقِىَ بها ، واهْتَمَّ لها ، وأخَذ يَدَّبِّر لإلصاقها بالوليد من جديد . فأَعَدَّ ابنه ليقود الحجيج ، وهَيَّأَ له الأموال لِيُفَرِّقَها فى أهل المدينة ومكة ، وأوصاه بإظهار الورع والتقوى والجلال والرحمة ، حتى يبدو فى سَمْتٍ يليق بتزكيته لولاية العهد ، ويَتَمَيَّزَ من الوليد الذى أشاع عليه أعوان هشام أنه استهان بدينه ، وعكف على اللهو فى موسم الحج سنة ست عشرة ومائة . ولا يقترب موسم الحج سنة تسع عشرة ومائة حتى يوليه الحج ، فأظهر النُّسْكَ والوقَارَ واللِّين ، وقَسَمَ بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة[٧١] :

يا أيُّها السَّائِلُ عن دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أبى شَاكِرِ
الواهبِ الجُرْدَ بأَرْسَانِها لَيْسَ بزنديقٍ ولا كافِرِ[٧٢]

والرَّاجح أن هشاماً كَلَّفَ أَحَدَ شُعرائه بِنَقْضِ بَيْتَى الوليد اللذين شَهَّر فيهما بمسلمة ، فَنَقَضَهُما وأسرف فى رَمْى الوليد بالإلحاد ، إذ دمغه بالزندقة والكفر ، وأمر أحد أعوانه بإذاعة البيتين فى المدينة أثناء موسم الحج ، نكايةً بالوليد ، ومحاربةً له . ومما يُؤَيِّدُ أن البيتين من تأليف أحد شعراء هشام ، وأنهما ليسا لأهل المدينة ، ولا لمواليهم أنَّ صاحبهما مجهول !

وأوْصَى هشامٌ ابنه مسلمة أن يَتَّصِلَ بأهل المدينة وشعرائها ، ويَسْأَلَهم مؤازرته فى خلع الوليد ، وأن يَدْعُوهم إلى زيارة دمشق ، ويُمَنِّيَهُمْ ويَعِدَهُمْ بالمكافآت الكبيرة لقاء مؤازرتهم له ، إذ يُرْوَى أن عروة بن أُذَيْنَة[٧٣] خرج إلى هشام فى قومٍ من أهل المدينة كان مسلمة بن هشام سنة حَجَّ أَذِنَ لهم فى

---

(٦٩) كان مسلمة بن هشام يُكَنَّى أبا شاكر ، كُنِّى بذلك لِمَوْلًى كان لمروان يكنَّى أبا شاكر ، كان ذا رأْيٍ وفضل ، وكانوا يُعظِّمونه ويتبرَّكُونَ به . (الأغانى ٧ : ٣) .

(٧٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(٧١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(٧٢) الأجرد من الخيل والواب كلها : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم .

(٧٣) ترجمته فى الشعر والشعراء هى : ٥٧٩ ، والأغانى ١٨ : ٣٢٢ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٦٩ وسمط اللآلى ص : ١٣٦ .

الوفود عليه . فلما دَخَلُوا على هشامٍ انْتَسَبُوا له ، وسَلَّمُوا عليه ، فقال : ما جاء بك يا ابن أذينة ؟ فقال :

أَتَيْنَا نَمُتُّ بأَرْحَامِنا وجِئْنا بِإِذْن أبى شَاكِرِ
فإنَّ الذى سَارَ مَعْرُوفُهُ بِنَجْدٍ وغَارَ مَعَ الغَائِرِ
إلى خَيْرِ خِنْدِفَ فى مُلْكِها لِبادٍ منَ النَّاسِ أوْ حَاضِرِ

فناقشه هشام فى بعض شعره ، وما فيه من معانى التَّوَكُّل والقناعة والرضا بالقليل ، فَغَضِبَ ابن أذينة ، ثم خرج فركب راحلته إلى المدينة . فلما أمر لهم هشامٌ بجوائزهم فَقَدَه ، فقال : أين ابن أذينة ؟ فقالوا : غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين ، فانصرف راجعاً إلى المدينة[٧٤] ! فخشى هشام إنْ أَهْمَلَهُ أن يُفْسِدَ الأمرَ على نفسه ، فَنَافَقَهُ واسترضاه ، إذ بعث إليه بجائزته[٧٥] !

ومَضَى هشامٌ يَتَوسَّل إلى إزالة الشُّبْهَةِ عن ابنه مسلمة ، ويحتال إلى إقناع العامة والخاصة بترشيحه للخلافة ، فاستمال بعض الشعراء ، وَزَّين لهم أن يصدروا عن رغبته فى الدعوة لابنه ، وتأكيد حقه فى وراثة العهد ، فانضاف إليه منهم الكميت بن زيد الأسدى ، وجعل يهتف فى شعرِهِ بأنَّ الخلافة لمسلمة بعد الوليد ، يقول[٧٦] :

إنَّ الخِلافَةَ كائنٌ أوْتَادُها بعدَ الوليدِ إلى ابنِ أُمِّ حكيمِ[٧٧]

ولكن محاولات هشام رَفْعَ التهمة عن ابنه مسلمة ، وَتَحْويلَ ولاية العهد إليه لم تُغْنِ عنه شيئاً ، ولا أَجْدَتْ عليه خيراً ، فقد حَطَّ تشهير الوليد من قيمته ، فسقط سقوطاً شنيعاً ، حتى كان أكثر أهل دمشق وبعض سادتها يعارضون المبايعة له بولاية العهد معارضة قوية علنية ، إذ يروى أن خالد بن عبد الله القسرى كان يقول : «أنا بَرِىءٌ من خليفةٍ يُكَنَّى أبا شاكر»[٧٨] .

فعظم ألم هشام بعجزه عن بلوغ أمنيته ، ومما زاد فى ألمه أنه رأى الوليد يَتَصَدَّى لأعوانه ، ويسخر

---

(٧٤) الأغانى ١٦ : ٢٧٩ ، ١٨ : ٣٢٥ .

(٧٥) الأغانى ١٨ : ٣٢٦ .

(٧٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، وأنساب الأشراف . مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ .

(٧٧) أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش . وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ثم تزوج عليها ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، فملكته وأحبها ، وذهبت بعقله كل مذهب ، فلم ترضى منه إلاّ بطلاق أم حكيم ، فطلقها ، فتزوجها هشام بن عبد الملك ، فولدت له يزيد ومسلمة) ترجمتها فى الأغانى ١٦ : ٢٧٤ – ٢٨١) .

(٧٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

منهم ، كما رآه يَتحدَّاه ويَستَفزُّه ، لا يَذِلُّ له ولا يتَخاذَلُ أمامه ، بل يَستَعْلِى عليه ويُقَرِّعه ويُفْحِمه ، وينتصف لنفسه منه . وما أكثر الأخبار التى تدل على موقفه الصارم من أعوان هشام فى هذه المرحلة ، وهى تشير إلى أنه لم يترك أحداً منه إلّا سَلَقَهُ بلسانه ، أو هدده فى حياته . أما يزيد بن هشام فَعَيَّره الوليد بمجون أمه ، و بشربها الخمر ، ولم يزل يأتيه من جهتها حتى مزَّقه ومزَّقها[٧٩] . وأما سعيد بن هشام ، ومحمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومى فتطاول عليهم ، واستهان بهم ، حتى أنكرهم ، وادّعى أنه لا يعرفهم ، مما يتضح فى هذا الخبر الذى رواه المدائنى فقال : « دخل الوليد يوماً مجلس هشام وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، خال هشام بن عبد الملك ، وأبو الزبير مولى بنى مروان ، ولم يكن هشام بن عبد الملك حاضراً فى المجلس ، فأقبل على سعيد بن هشام فقال : من أنت وهو يعرفه ؟ فقال : سعيد بن أمير المؤمنين . فقال : مرحباً بك ! ثم قال لأبى الزبير : من أنت ؟ قال : أبو الزبير . قال : نسطاس ؟ مرحباً بك ! ثم قال لإبراهيم بن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : من إبراهيم بن هشام ، وهو يعرفه ؟ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى . قال : ومن إسماعيل المخزومى ؟ قال : الذى لم يكن أبوك يرى أنه فى شىء حتى زَوَّجَه أبى ! قال : يا ابن اللخناء ! وَاتَّخَذا (تصارعا) . وأقبل هشام ، فقيل : أمير المؤمنين ! فكفا وجلسا ، ودخل هشام فما كاد الوليد يَتَنَحَّى له عن صدر المجلس ، إلّا أنه زَحَل (تَنَحَّى) قليلاً »[٨٠] .

وأما العباس بن الوليد بن عبد الملك فكان الوليد يستصغره ويَخزُه بأنه ابنُ أَمَةٍ ، وأنه ليس من العرب الصرحاء ، بل من الهُجَناء ، إذ يروى المدائنى « أن هشاماً كان يَعِيب الوليد ويَتَنَقَّصه ، فدخل عليه يوماً وعنده جماعة من بنى مروان كانوا يعيبون الوليد قبل دخوله ، فيقولون : هو أحمق ! فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس ، كيف حبك للروميات فإن أباك كان معجباً بهن ؟! قال : إنى لأحبهن ، وكيف لا أحب من لا تزال تأتى بمثلك ؟ وأم العباس رومية ، فقال : لستَ بالفحل يجىء عَسْبُه (ماؤه) بمثلى ! فقال له الوليد : يا ابن البَظْراء ! فقال العباس : يا وليد ، أتفخر علىَّ بما قطع من بَظْرِ أمك »[٨١] .

وأما محمد بن مُسْلِم الزهرى فأقسم الوليد إنْ هو بقى حياً إلى خلافته لَيَقْتُلَنَّه[٨٢] ، فأجمع الزهرى

---

(٧٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، والأغانى ١٦ : ٢٧٨ .

(٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٥ .

(٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(٨٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ الورقة : ٤٨٠ و ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير=

أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولى الوليد بن يزيد ، فمات الزهرى قبل ذلك بقليل ![٨٣] .

وكان رَدُّه على تَهَكُّم هِشامٍ منه ، وتَشْنِيعِهِ عليه أَقْذَع وأَوْجَعَ ، وأكثر تشهيراً به ، وأشد إثارةً له ، فقد «قال هشام للوليد يوماً : ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ! وقام مُغْضَباً . فقال هشام : هذا الذى يزعمون أنه أحمق ، ما هو بأحمق ، ولكنى أظنه على غير المِلَّة»[٨٤] . وقال هشام للوليد مرة : «كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالح . قال : ما فَعَلَتْ بِرَابِطُك ؟ قال : مُعْمَلَة قال : فكيف نُدَماؤُك ؟ قال : لعنهم الله إنْ كانوا شرًّا من جُلَسَائِك ! وقام . فقال هشام : يا ابن اللخناء ! جُرُّوا عُنُقَه . فلم يفعلوا ، ودفعوه دفعاً رفيقاً»[٨٥] .

وشعره الذى نظمه فى الاحتجاج على هشام وسعيه إلى سَلْبه ولاية العهد ألذع من إجاباته السريعة له ، فهو يعتد فيه بنفسه ونسبه اعتداداً مدوياً ، ويُؤَنِّبُ هشاماً تأنيباً جارحاً ، ويصفه بالحمق والضلال وصفاً صريحاً . ومنه قوله يكاثره ويستطيل عليه بِنَسَبه الثاقب ، ومكانته الجليلة ، فهو حفيد بنى أمية ، وأعزُّ من أنجبته قريش وثقيفٍ ، وهو يمت بسبب أُمِّه[٨٦] إلى النَّبى ، مما يجعله متقدماً لا يَلْحقَهُ أَحَدٌ ، ومما يُؤَكِّدُ حَقَّه فى الخلافة ، وهو حق لا يَتَعذَّر على هشام أن يُدافِعَه عنه ، ويَحْرِمَه منه[٨٧] :

أنا ابنُ أبى العاصى وعثمانُ والدى ... ومَرْوانُ جَدِّى ذُو الفعالِ وعَامِرُ
أنا ابنُ عَظِيمِ القَرْيَتَيْنِ وعِزُّها ... ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والرِّجال الأكابِرُ[٨٨]
نَبِىُّ الهُدَى خَالِى ومن يَكُ خالُهُ ... نَبِىَّ الهُدَى يَعْلُو الوَرَى فى المَفاخِرِ

وقَوْلُهُ يَتمدَّح بكرم مَحْتِدِه وأصالته ، وبُعْدِ هِمَّته وبسَالته ، فهو ناصع النسب ، اجتمع له شرف آبائه وأجداده الأمويين ، وعِزُّ أخواله الثقفيين ، بل هو صفوة أولاد عبد شمس الأكبر ، أصحابِ

= أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(٨٣) الأغانى ٧ : ١٢

(٨٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٠ ، والأغانى ٧ : ٥ .

(٨٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٦ .

(٨٦) أم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية . وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر . وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم» . (الأغانى ٧ : ١) .

(٨٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٨٨) القريتان : مكة والمدينة .

العزائم القويةِ ، وأهلِ المجدِ الساطعِ ، وأرباب المنزلةِ العَلِيَّة التى ترتفع إلى عنان السماء ، فلا يُطْمَعُ فى بلوغها ، أو الوصول إليها ، ويَرْتَدُّ البَصَرُ كَلِيلاً عنها[٨٩] :

أنا الوليدُ أبو العباسِ قد عَلِمَتْ ... عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كرِّى وإقْدَامى
إنِّى لَفِى الذِّرْوَةِ العُلْيَا إذا نُسِبُوا ... مُقَابَلٌ بينَ أخْوَالى وأَعْمَامى
بَنَى لى المَجْدَ بانٍ غَيْرُ مَدَّرَكٍ ... عَلى مَنارِ مُضيئاتٍ وأعلامِ[٩٠]
خُلِقْتُ من جَوْهَرِ الأعياصِ قدْ عَلِمُوا ... فى باذخٍ مُشْمَخِرِ العِزِّ قَمْقَامِ[٩١]
صَعْبِ المَرامِ يُنَاغى النَّجْمَ مَطْلَعُهُ ... يَسْمُو إلى فَرْعِ مَجْدٍ شامخٍ سَامِ

وقوله يُنَدِّدُ بِجفاءِ هشامٍ له ، وسَأْمِهِ منه ، وقلة صبره على رؤيته ، معلناً أنه سيجزيه كُرْهاً بِكُرْهٍ ، وهَجْراً بِهَجْرٍ ، وأنه لن يستكين ولن يَسْتَجْدِيَه العطفَ والمودةَ استجداءً ، ومُقَرِّعاً له تقريعاً شديداً ، لما يرتكب من القبائح . وهى قبائح إذا تأملها بأناةٍ وحكمة ، ووازن بين ضررها عليه ، وخيرها له اسْتَسْخَفَها ، وَرَدَعَ نفسه عنها رَدْعاً ، وعرف يقيناً أنه أساء إلى ابن أخيه إساءة لا تغتفر[٩٢] :

فإنْ تَكُ قَدْ مَلَلْتَ القُرْبَ منى ... فَسَوْفَ تَرَى مُجَانَبتى وبُعْدى
وسوفَ تَلُومُ نَفْسِكَ إنْ بَقِينَا ... وتَبْلُو النَّاس والأحوال بَعْدِى
فَتَنْدَمُ فى الذى فَرَّطْتَ فيهِ ... إذا قَايَسْتَ فى ذَمِّى وحَمْدى

وتكشف القطعتان الأوليان عن أسلوب الوليد فى الفخر والعتاب ، فهو ينزع فيهما منزعاً تقليدياً ، إذ يستوحى معانى الجاهليين ، فيكاثر بالنسب والْحَسَبِ والآباء والأجداد والأخوال ، وإن انتصر لنفسه بقرابته من الرسول ليضفى على شخصيته هالة من القداسة ، وهو يكرر ألفاظ القدماء ويستعير تراكيبهم الفخمة الصعبة ، ويستخدم الأوزان الضخمة كالطويل والبسيط . فيبدو شعره فى الفخر والعتاب قويًّا صاخباً ، قبليًّا فى مضمونه ، بدويًّا فى لغته وقوالبه التعبيرية وموسيقاه . وتظهر فيه بعض العيوب العروضية كالإقواء ، الذى شاع فى مقطوعاته الغزلية ، فهو ثابت فى رواية البلاذرى للبيت الثالث من القطعة الأولى ، وهى أقدم من رواية أبى الفرج[٩٣] التى سلمت منه ، وكأنه أصلح البيت

(٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، والأغانى ٧ : ١٠ .
(٩٠) غير مُدَّرَكٍ : لا يلحق .
(٩١) الأعياص من ولد أمية الأكبر بن عبد شمس هم : العاصى وأبو العاصى ، والعيص وأبو العيص ، والعويص ، وأبو عمرو . (جمهرة أنساب العرب ص : ٧٨) . والمشمخر : الجبل العالى . والقمقام الكثير العدد .
(٩٢) الأغانى ٧ : ٢١ .
(٩٣) الأغانى ٧ : ٦ .

وأخلاه من الإقواء .

ولم يزل أمر هشام والوليد على هذه الحال حتى بداية العقد الثالث من القرن الثانى ، هشام وأعوانه يرومون تنحية الوليد ، ويُشَمِّرونَ لها ، ويَجِدُّون فيها ، ويأتمرون بالوليد ، ويفترون عليه ، والوليد يكافحهم ويَذودُهم عن نفسه ذَوْداً جريئاً ، ويُعَنِّفُهم ويُقَطِّعهم بلسانه تقطيعاً .

٣ – فى آخر خلافة هشام

كان يُغْرى الوليد بِتَحَدِّى هشامٍ ومهاجمةِ أنصاره فى المرحلة السابقة مالَهُ من بَيْعَةٍ مُعْلَنَةٍ مُوَثَّقة[٩٤] . وكان يُشَجِّعُهُ على التَّصدِّى لهشامٍ ومُكايدته أنَّ بَعْضَ أمراء بنى أمية الأقوياء ونفراً من سادة العرب وقادتهم بدمشق ، وغيرهم من أهل الشام ، وأكثر أهل الأمصار الأخرى لم يؤيدوا هشاماً فى نقل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة . فإن مسلمة بن هشام لم يكن أحسن حالاً من الوليد ، ولا كان أشد منه استقامة وجلالاً ، فقد كان فى مسلمة مجون ، وكان يُكْثِرُ الشرابَ ويُدْمِنُه[٩٥] . وكان صديقاً للوليد ، « فكان يكثر أنْ يُكَلِّم أباه فى الرِّفْقِ به ، ويَكُفُّه عنه »[٩٦] .

وكان هشام لا يُقْدِمُ على استلاب ولاية العهد من الوليد ، ولا يَجْرُؤُ عليه ، لأنه كان يخشى عواقبه وأخطاره ، فإن استلاب ولاية العهد يَحُطُّ من قدر هشام ويُزْرى به ، ويؤذن بِتَصَدُّع بنى أمية وتَفَسُّخهم ، ويَهيجُ الجيش ، ويُؤَدِّى إلى تَمَزُّقه وانقسامه ويُضْعِفُ الخلافة ، ويُقَلِّلُ من هَيْبَتها وسُلْطَتها ، فكان هشام يحجم عن خلع الوليد « خوف الفضيحة من الناس ، ولئلا تَتَنَكَّرَ قلوبُ الأَجْنَادِ عليه »[٩٧] .

وساعد الوليد فى مجابهة هشام ، وحَمَلَهُ على مُعاندته ما كان يَلْقَى من مُسَاندة عمه مسلمة بن عبد الملك ، وكان مسلمة أكبرَ إخوة هشام ، وأَشَدَّهم بأساً وحزماً وأكثرهم اعتدالاً واتِّزاناً ، وأعظمهم مكانة ونُفُوذاً[٩٨] ، وكان يعلم أنه هو الذى اقترح على أخيه يزيد بن عبد الملك أن يَعْهَدَ

---

(٩٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ و .

(٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٢٥ .

(٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٦ ، والأغانى ٧ : ٢٥ .

(٩٧) البداية والنهاية ١٠ : ٣

(٩٨) ترجمته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٢ ، ونسب قريش ص : ١٦٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٨ .

بالخلافة إلى أخيه هشام ، وأن يُقَدِّمه على ابنه الوليد لِصغَرِ سِنِّه . فكان يَتَبَرى للدفاع عن الوليد ، وينهى هشاماً ويُحَذِّره ، ويُعاتِبُه عتاباً مرًّا ، ويَزْجُرُه زَجْراً قويًّا كلما رآه يَجُور على الوليد ، ويُمْعِنُ فى ظُلْمِه ، ويَتَوَرَّطُ فى السَّعْى لِعَزْله[٩٩] . فكان هشام يخجل منه ، ويتطامن له .

فلما مات مسلمة بن عبد الملك فى مطلع العقد الثالث من القرن الثانى[١٠٠] غُمَّ الوليد ، وضعف جانبه ، إذ فقد أعز أهله وأقربائه ، وأحب أعمامه وأخلصهم له ، وأقوى من كان يمتنع به منهم ، ويشكو إليه ، فَيَصُدُّ هشاماً .

وأفصح الوليد فى شعره عن ألمه لموت عمه مسلمة ، وخوفه من هشام وغيره من أبناء عمومته ، وود لو هلك هشام العنيد الصلف الذى لا يؤمن شره ، أو يزيد بن الوليد بن عبد الملك مريض النفس والقلب الذى لا يرجى صلاحه ، أو مروان بن محمد البعيد المنقطع الذى لا يؤمل خيره ، إذ يقول[١٠١] :

أَهَيْنَمَةٌ كلامُ القومِ أمْ هُمْ ... سكوتٌ بعدَما مَنَعَ النهارُ[١٠٢]
عزيزٌ كان بَيْنَهُمُ نَبِيًّا ... فقول القوم وَحْىٌ لا يُحَارُ
كأنَّا بَعْدَ مَسْلَمَةَ المُرَجَّى ... شُروبٌ طَوَّحتْ بهمُ عُقارُ
أُوالَّافٌ هجانٌ فى قيودٍ ... تَلَفَّتُ كلَّما حَنَّتْ ظُؤارُ[١٠٣]
فليتَكَ لم تَمُتْ وفداكَ قومٌ ... تُرِيحُ غَيِّبُهُمْ عَنَّا الدِّيارُ
سَقِيمُ الصَّدْرِ أو شكىٌّ نكيدٌ ... وآخرُ لا يزورُ ولا يزارُ[١٠٤]

ويقول معرباً عن فداحة رزئه فى عمه مسلمة ، وأنه لم يصدق نبأ وفاته ، فقد كان ملجأه الذى

---

(٩٩) الأغانى ٧ : ٦ .

(١٠٠) يشير خليفة بن خياط ، وابن تغرى بردى ، وابن كثير أن مسلمة بن عبد الملك توفى سنة عشرين ومائة ، (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٨٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٩) . ولكن خليفة بن خياط يذكر أن مسلمة غزا على الصائفة سنة إحدى وعشرين ومائة . (تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٢٤) . وينقل ابن كثير عن شيوخه أن مسلمة توفى سنة إحدى وعشرين ومائة . (البداية والنهاية ٩ : ٣٢٩) . ويروى ابن تغرى بردى أيضا أن مسلمة توفى سنة اثنتين وعشرين ومائة . (النجوم الزاهرة ١ : ٢٨٨) . والراجح أنه توفى سنة إحدى وعشرين أو سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(١٠١) الأغانى ٧ : ٧ .

(١٠٢) الهينمة : الكلام الخفى لا يفهم . ومنع النهار . بلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال ، أو امتد وطال .

(١٠٣) الهجان : كرام الإبل . والظؤار : جمع ظئر وهى الناقة العاطفة على غير ولد المرضعة له .

(١٠٤) يعنى بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ، ويعنى بالشكس هشاماً ، والذى لا يزور ولا يزار مروان بن محمد . (انظر الأغانى ٧ : ٨) .

يَفْزَعُ إليه ، والقبس الوهاج الذى ينير له الحياة ، ويخفف من آلامه ، متمنياً لو بقى حيًّا حتى يعصمه من أذى هشام(١٠٥) :

أتانَا بريدانِ من واسطٍ يَخُبَّانِ بالكُتُبِ المُعْجَمَهْ
أقولُ وما البُعْدُ إلاَّ الرَّدَى أمسلمُ لاَ تَبْعُدَنْ مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نُوراً لنا فى البلادِ تُضِيءُ فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ
كَتَمْنَا نَعِيَّكَ نَخْشَى اليقينَ فَجَلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ(١٠٦)
وكمْ مِنْ يتيمٍ تَلافَيْتَهُ بأرضِ العَدُوِّ وكمْ أَيِّمَهْ
وكنتَ إذ الحربُ دَرَّتْ دَماً نَصَبْتَ لها رايةً مُعْلَمَهْ

فانكبَّ هشام على نفسه فى الفترة الماضية ، وأخذ يُرَجِّعُ آماله وآلامه ، ولكنه كَظَمَ غَيْظَه ، وقَبِلَ سخرية الوليد منه ، وإهانته له . فلما توفى مسلمة بن عبد الملك صفا الجو لهشام ، وأُطْلِقَتْ يده المغلولة ، فاضطهد الوليد ، وتَسَلَّط عليه . ويظهر أنه قرر التخلص منه غيلةً ، فَحَضَّ بعض مواليه على قتل الوليد إذا وجده منتحياً بمكان بعيد ، وأصاب منه غفلةً . ففيما يرويه أبو الفرج عن أحد أصحابه « أن الوليد خرج يوماً يتصيَّدُ وحده ، فانْتَدَبَ إليه مولى لهشامٍ يريدُ الفتكَ به . فلما بَصُرَ به الوليد جَاوَلَهُ فَقَهره بفرسه الذى كان تحته فقتله . وقال الوليد فى ذلك :

ألمْ تَرَ أَنِّى بينما أنا آمنٌ يَخُبُّ بى السِّنْدِىُّ قَفْراً فَيافيَا
تَطَلَّعْتُ من غَوْرٍ فأبصرتُ فارساً فأَوْجَسْتُ منه خِيفةً أنْ يَرانِيَا
ولمَّا بَدَا لى أنما هو فارسٌ وقَفْتُ له حتى أَتَى فَرَمانِيَا
رَمانى ثَلاثاً ثمَّ إنِّى طَعَنْتُهُ فروَّيْتُ مِنْهُ صَعْدَتِى وَسِنَانِيا(١٠٧)

وإذا صَحَّ الخبر والشعر ، لأن أبا الفرج انفرد بروايتهما دون إسناد واضح ، ولأن الشعر حكايةٌ للخبر ، كما أن أسلوب الشعر سهل مصقول يخالف أسلوب الوليد فى الفخر ، وما يتسم به من الصعوبة ، وكثرة الغريب ، وقلة التهذيب ، فإن هشاماً يكون قد خَطَّطَ لاغتيال الوليد وجَاوَلَهُ .

ويستدل من رواية المدائنى لأخبار الوليد بعد موت عمه مسلمة بن عبد الملك أن هشاماً اسْتَذَلَّهُ واسْتَعْبَدَهُ ، وعنف به عنفاً لا يُحْتَمل ، وآذاه أذًى لا يُطاق ، فلم يتمكن الوليد من زيارة الرصافة ، أو الإقامة بها كما كان يفعل من قبل ، ولم يأمن العيش بدمشق ، فرحل إلى بادية الأردن طلباً للنجاة

---

(١٠٥) الأغانى ٧ : ٦ ، ونسب قريش ص : ١٦٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٩ .
(١٠٦) الجمجمة : إخفاء الكلام .
(١٠٧) الأغانى ٧ : ٦٤ .

بنفسه ، واجتناباً لكيد هشام وغدره ، إذ يقول المدائنى : « لما كثر عَيْبُ هشام للوليد ، وتَعَيُّبُهُ به وبأصحابه وخاصته ، خرج فى جماعة منهم ، فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة ، على ماء يقال له : الأغدف وخلَّف بالرصافة كاتبه عَيَّاض بن مسلم مولى عبد الملك ، وأمره أن يكتب إليه بما يحدث قِبَلَه »(١٠٨) .

ولم يتركه هشام حراً طليقاً ينعم بالاستقرار والطمأنينة فى منفاه ، فقد بث عليه الجواسيس ليراقبوه ويرسلوا إليه بأخباره ، لينسج منها تهماً يُسَوِّغ بها انتقامه منه ، وتنكليه به ، ويجبره بها على الخضوع لمشيئته وإرادته .

وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ممن رحلوا مع الوليد إلى الأزرق . وكان الوليد يأنس به ويركن إليه . فنظم عبد الصمد أبياتاً صور فيها انتظاره لخلافة الوليد ، وتوقعه لها بين حين وآخر ، ليشد أزر الوليد ، ويربط على قلبه ، ويقوى عزيمته ، وينفى عنه ما كان يساوره من الهواجس والظنون فى مصير ولايته للعهد ، مذكراً له ببيعته المؤكدة التى لا يقدر هشام على نقضها ، ومبشراً له بأيام سعيدة ، إذ يقول(١٠٩) :

لعلَّ الوليدَ دَنَا مُلْكُهُ فأمسَى إليه قد استَجْمعَا
وكنَّا نُؤَمِّلُ فى مُلْكِهِ كتأميلِ ذى الجَدْبِ أنْ يُمْرِعَا
عَقَدْنَا له محكماتِ الأمـ ـورِ طَوْعاً وكان لها مَوْضِعَا

ونقل جواسيس هشام الأبيات إليه ، فأحفظته على عبد الصمد ، إذ أيقن أنه يستبطئ حياته ، ويستثقل خلافته ، ويستعجل نهايته ، وأنه لم يزل يحرض الوليد على مقاومة المبايعة لمسلمة بن هشام بولاية العهد ، ولم يتوقف عن حث الوليد على التجلد والتمسك بحقه فى وراثة الملك وحده ، فاستغل هشام الأبيات أسوأ استغلال ، إذ اتخذها حجةً لمهاجمة الوليد وعبد الصمد ، والبطش بهما ، وذريعةً إلى اتهامها فى دينهما ، فرماهما بالكفر ، مع أن الأبيات لا صلة لها بالدين ، وليس فيها ما يشير من قريب أو بعيدٍ إلى الفسوق والانسلاخ من الإسلام ! فكتب إلى الوليد « إنك قد اتخذت عبد الصمد خِدْناً وأليفاً ومُحَدِّثاً ونديماً . وقد صح عندى أنه على غير الإسلام ، فحقق ذلك ما يقال

---

(١٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(١٠٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة : ١٦٨ و .

فيك ، ولم أُبَرِّئْكَ من سوء . فاحمل إلى عبد الصمد مع رسولى مذموماً مدحوراً . فلم يجد بداً من إشخاصه ، فأشخصه إليه ، وأنشأ يقول :

لقد قَذَفُوا أبا وَهْبٍ بأمرٍ كبيرٍ أو يزيدُ على الكبير
وأشهدُ أنهمْ كَذَبُوا عليهِ شهادةَ عالمٍ بهمُ خَبيرِ[١١٠]

فالوليد كان على ثقة من أن هشاماً اتهم عبد الصمد بالزندقة زوراً وبهتاناً ، وأنه إنما اتهمه بها إغاظةً له ، وتشنيعاً عليه .

ودفع هشام عبد الصمد وأخاه عبد الرحمن إلى يوسف بن عمر الثقفى واليه على العراق ، فسجنهما ، ويصف البلاذرى نهايتهما المفجعة فيقول : « بنى لهما يوسف بيتاً ، وجعلها فيه ، وطيَّن عليهما ، وصير فيه كوة يرمى منها إليهما بالطعام . . . ثم أعطشهما حتى برصا أو برص أحدهما ، وماتا عطشاً »[١١١] .

« وكتب الوليد إلى هشام يعلمه أنه فارق عبد الصمد ، ويسأله أن يأذن لعبد الله بن سهيل فى القدوم عليه ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه . وأخذ عياض بن مسلم – وبلغه أن يكتب بالأخبار إلى الوليد – فضربه ، وألبسه المسوح وحبسه . فغم ذلك الوليد ، فقال : من يثق بالناس أو يصطنع المعروف ! هذا الأحول المشئوم قَدَّمه أبى ، وولاه الخلافة ، وهو يصنع ما ترون ! »[١١٢] ، « لا يعلم أنَّ لى فى أحدٍ هوًى إلَّا عَبِثَ به ، كتب إلى أن أخرج عبد الصمد ، فأخرجته إليه ، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إلى ، فضربه وسيره . وقد علم رأيى فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى وتَحَرُّمه بى ، ومكانه منى ، وأنه كاتبى ، فضربه وحبسه ، يضارُّنى بذلك ، اللهمَ أَجِرْنى منه ! »[١١٣] .

ولم يقتصر هشام على حبس مؤدب الوليد وإعدامه ، وجلد كاتبه عياض وسجنه ، وتعذيب ابن سهيل ونفيه ، فقد منع أسباب الرزق عن الوليد وخاصته ، وفى ذلك يقول المدائنى : « قطع هشام عن الوليد ما كان يجرى عليه ، وأسقط أسماء أصحابه وحرسه ، وقطع ما كان يجرى عليهم »[١١٤] .

---

(١١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة للكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ المجلد العاشر ، الورقة : ١٦٨ و .

(١١١) أنساب الأشراف : مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٢ .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ .

(١١٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ٩ .

(١١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٩ .

وكأنما أراد هشام أن يهدد الوليد فى حياته حتى يقهره على التخلى عن ولاية العهد ، فَخَيَّره بين الاحتفاظ بها والموت فى سبيلها ، وبين التنازل عنها والنجاة بنفسه . فاختار الوليد ولاية العهد ، ووطّن نفسه على احتمال المكاره والأهوال . وكتب إلى هشام رسالةً مهمةً ، شرح فيها رأيه فى ضغط هشام عليه ، وعَسْفِهِ به ، وفَصَّل الدوافع التى بَعَثَتْهُ على التَّشبث بولاية العهد ، والتمسك بها ، يقول فيها : « قد بلغنى الذى أَحْدَثَ أمير المؤمنين أصلحه الله فى قطع ما قطع عنى وعن أصحابى وحرسى وأهلى . ولم أكن خائفاً أن يَبْتَلِيَ اللهُ أميرَ المؤمنين بذلك ، ولا يَبْتَلِيَنى به منه . فإن يكن طلبى ابن سهيل عِلَّةَ ذلك ، فلم يبلغ أمر ابن سهيل وكتابى فيه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى ، وإن يكن ذلك لشىء فى نفس أمير المؤمنين على ، فقد سَبَّبَ الله لى من العهد ، وكتب لى من العمر ، وقسم لى من الرزق ما لا يقدر أحدٌ على قطع شىء منه دون مُدَّته ، ولا صرف شىء منه عن مواقعه ، فأقدار الله تجرى بما أحب الناس أو كرهوا ، فلا تأخير لعاجلهَا ، ولا تعجيل لآجلها ، والناس بين ذلك مقترفون للآثام على أنفسهم »[١١٥] « بما يستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحق أمته بالبصر بذلك ، والحفظ له . والله الموفق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور »[١١٦] .

فلم يكن يخطر ببال الوليد وخياله أن هشاماً يمكن أن يلجأ إلى حجب ضرورات المعاش عنه . ويعتقد أن هشاماً إنما ضيق عليه تضييقاً شديداً لأنه كان يرمى إلى إكراهه على التنازل عن ولاية العهد ، فإن طلبه لابن سهيل لا يستدعى أن يعاقب هشامٌ الوليد بحجز عطائه وعطاء ذويه ورفاقه وحرسه . ويصرح أن أحداً لا يستطيع خلعه ، لماله من بيعةٍ مبرمة باركها الله ، فهو الذى اختصه بولاية العهد ، واصطفاه لها ، محتجاً على هشام بمبدأ الجبر فى الخلافة الذى آمن به كما آمن به أسلافه من الخلفاء الأمويين ، وساخراً منه ومن أنصاره الضالعين معه ، فليس لرأيهم ولا لرأى الناس جميعاً أهمية فى ولاية العهد ، وإنما الأهمية فيها لإرادة الله التى سبقت رغبة هشام ، ولا سبيل إلى تبديل إرادة الله ، أو إلى أبطالها وتعطيلها ، محذراً هشاماً من غضب الله وعذابه إن واصل العمل لعزله عن ولاية العهد .

فكتب إليه هشام يقول : « قد فهم أمير المؤمنين كتابك . وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ، فإنه للمآثم فى ذلك أخوف منه على نفسه فى قطعه ما قطع لأمرين : أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك ، وهو يعلم المواضع التى تضعه فيها ، وإنفاقك

---

(١١٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ .

(١١٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٣ والأغانى ٧ : ١٣ . مع أن البلاذرى حذف خاتمة رسالة الوليد إلى هشام ، فإن روايته لها أدق من رواية الطبرى وأبى الفرج ، على كمالها . فأثبتنا ما ورد منها فى أنساب الأشراف ، واستكملنا الخاتمة من تاريخ الطبرى والأغانى .

إياه فى سبل المعصية . وأما الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك ، وأدر أرزاقهم ، وليس ينالهم ما ينال المسلمين فى كل عام من المكروه عند قطع البعوث وجهاد العدو ، وإنما هم معك تجول بهم فى سَفِهك وبطلانك وفسوقك . ولأمير المؤمنين إلى التقصير فى التقتير عليك أقرب منه إلى الاعتداء . ولقد بَصَّر الله أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنك وعن أصحابك المجان ما يرجو أن يكون كفارة لما سلف من إدرار ذلك عليكم ، وبالله الثقة . وأما ابن سهيل فهل زاد – لله أبوك – على أن كان زفاناً مُغَنياً ، قد بلغ فى السفه غايته ! وليس هو فى ذلك بشرٍ ممن تستصحبه ، مع الأمور التى يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها ، مما أنت لعمر الله أهل للتوبيخ بها . فأما ما ذكرت مما سبب الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك ، وأصفاه به ، والله بالغٌ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين على اليقين من ربه أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً ، وإن الله ولى ذلك منه ، وإنه أرأف بعباده وأرحم من أن يُوَلِّىَ أمرهم غير الرضا منهم . وإن أمير المؤمنين لِحُسْنِ ظنه بربه على أعظم الرجاء أن ييسر له تسبيب ذلك لمن هو أهله فى الرضا به ، فإن بلاء الله عنده أعظم من أن يُبْلِغَه ذكْرُهُ ، ويؤدِّى حَقَّهُ فيه شُكْرُهُ ، إلا بعون منه له . ولئن كان قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاة إن فى الذى هو مُفْضٍ من كرامة ربه إن شاء الله لَخَلَفاً من الدنيا . ولعمر أمير المؤمنين إن كتابك إلى أمير المؤمنين ما كتبت له لغير مستنكر من سَفَهك وحُمْقِك وسُقوطك ، فارْبَعْ على نفسك وغُلَوائها ، فإن لله سَطَواتٍ وغِيراً يُصِيبُ بها من يشاء . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه ، وأرضاها له . والسلام »[١١٧] .

فهشام يجعل اتهامه للوليد بالبطالة والضلالة سبب حرمانه وحرمان أصحابه من أعطياتهم ، ليغفر الله له ما تَقَدَّمَ من ذنبه ، لأنه كان يُجْرِيها عليهم من قبل ، فهم قاعدون لا يجاهدون ولا يستبسلون فى النضال ، ولا يصمدون فى مواقع الشهادة ، ولا يَبْلُونَ أهوال القتال ، ولا يقتحمون مواطن الرَّدَى حين تتوقف النجدات عن الجند فى الثغور البعيدة المخوفة ، فيصبرون وينصبون نحورهم وصدورهم للأعداء ، حتى يُبْقِيَ على أرزاقهم ، ولا يُلْغِيَ أعطياتهم . وقد وفَّقَه الله إلى محو أسمائهم من الديوان !

وهو سبب ظاهره معقول ، فى أيام هشام « لم يكن أحد من بنى مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو ، فمنهم من يغزو ، ومنهم من يُخْرِجُ بدلاً[١١٨] ، « وكانوا يقيدون أنفسهم فى أعوان الديوان ، وفى بعض ما يجوز لهم المقام به ، ويُوضَعُ به الغزو عنهم »[١١٩] .

(١١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٣ . أثبتنا رواية البلاذرى لرسالة هشام ، لأنها أصح من رواية الطبرى وأبى الفرج . فنص الرسالة فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٣ ، وفى الأغانى ٧ : ١٣ ، فيه خطأ وتعديل كثير .

(١١٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ .

(١١٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ .

ومن الصَّعْبِ التَّحَقُّقُ من أن الوليد لم يُخْرِجْ بَدَلاً ، أو أن نهوضَه بأعباء ولاية العهد لم يكن يُعْفِيه من الغزو ، كما أنه من العسير التثبت من أن جميع الأمراء الأمويين كانوا يغزون فى كل سنة ، ولكن الواضح أن بعضهم كانوا ولاة أو قادة مثل مسلمة بن عبد الملك ، أو مروان بن محمد . والعطاء إنما فرض لبنى مروان لأنهم من الأسرة الحاكمة !

وأما قَذْفُهُ ابنَ سهيلٍ بالاستهتار بالغناء والرقص والتَّبَذُّل فمن افتراء هشام عليه ، دفعه إليه أنه كان من خاصة الوليد . وهو فيما يروى المدائنى ليس من أهل المجون والخلاعة ، بل يمنىٌّ دمشقىٌّ من أهل النباهة ، وَلِىَ الولايات ، وَوَلِىَ دمشق أو شرطتها مراراً[١٢٠] .

وأما رفضه احتجاج الوليد عليه ، وتخويفه له من عقاب الله إذا استمر فى السعى لخلعه فَتَمَلُّص هشام فيه مما كان يشيعه الخلفاء الأمويون من أن إجماع المسلمين على بيعة الخليفة أو على بيعة ولى العهد يُمَثِّلُ المشيئة الإلهية . وهى مشيئة تحققت يوم بايع المسلمون لهشام وللوليد بولاية عهد يزيد بن عبد الملك ! ولكن هشاماً ذهب إلى أن الله أعدل وأرحم من أن يُوَلِّى أمر الجماعة من لا يرتضونه . وهو يصدر فى ذلك عن طموحه فى إقصاء الوليد ، وما يزال يُصِّرِ على العهد بالخلافة لابنه مسلمة ، راجياً أن يَهْدِيَهُ الله ، ويُسَهِّلَ له ما يطمع فيه .

واعترض الوليد فى شعره على محاصرة هشام له ، وبطشه بموظفيه وخاصته اعتراضاً مدوياً ، وسَفَّهَهُ تَسْفِيهاً عنيفاً ، إذ يقول دامغاً لَه بالخسة والدناءة ، وبالغش والخداع ، وواصماً له بصغر النفس ، فهو إذا أُجِلَّ واحْتُرِمَ استأسد وتَنَفَّخَ ، وإذا ظُلِمَ وأُذِلَّ جَبُنَ ورَضخ . وإنه ليعجب من أمره وسوء تَصَرُّفه ، فهو يستهين بالوليد ، ويطغى عليه ، ويستعبده ، ويزيد بن عبد الملك سببُ خلافته ، ورَبُّ نِعْمته ! ويتَوَعَّده الوليد بالانتقام من أبنائه وأعوانه بعد مماته . وما يزال يندد به ويهدده ويحتقره حتى يشبهه بالكلب الذى عُنِىَ صاحبه وأنقذه من الهلاك ، ثم دَرَّبه للصيد ، فلما اشتد عوده ، وَضَرَى بعد ضَعْفٍ وتهالكٍ ، حَدَّثَتْهُ نفسه بافتراس صاحبه ، فلم يتمكن منه ، ولو استطاع لَمَزَّقَهُ إرَباً[١٢١] :

أنا النَّذِيرُ لِمُسْدِى نِعْمةٍ أبَدًا ... إلى المقاريفِ ما لمْ يَخْبُرِ الدَّخَلاَ[١٢٢] .

---

(١٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ٩ .

(١٢١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٦ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة ١١١ ظ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(١٢٢) المقاريف : الأنذال . والدخل : العيب والغش والفساد .

إنْ أنتَ أكرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بُطُراً وإنْ أَهَنْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ ذُلُلاَ
أَتَشْمَخُونَ ومنَّا رأْسُ نِعْمِتِكمْ ستعلمونَ إذا كانتْ لنَا دُوَلاَ
أنظرْ فإنْ أَنْتَ لمْ تَقْدِرْ على مَثَلٍ لهُ سوى الكَلْبِ فاضْرِبْهُ له مَثَلاَ
بَيْنَا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حتى إذا ما قوى من بعدِ ما هَزُلاَ
عَدَا عليهِ فلمْ يَضُرُّهُ عَدْوَتُهُ ولو أطاقَ لهُ أَكلاً لقدْ أَكَلا

ويقول مستعلياً على هشام بعد أن قطع عنه وعن حرسه وأصحابه الرزق ، واصفاً له باللؤم ، فقد أنكر خير يزيد بن عبد الملك ، وجحد فضله عليه ، وهو الذى اختاره لولاية عهده ، وأتته الخلافة من جهته ، فكان حقاً عليه – لو كان يقدر الجميل – أن يلهج بمعروف يزيد ما عاش ، وأن يرعى أبناءه وَيَبَرَّهُم ، محذراً له تحذيراً قوياً من عاقبة صنيعه ، فإنه يجر على أولاده وَأَهْلِهِ وأنصاره الويل والدمار(١٢٣) :

كَفَرْتَ يداً منْ مُنْعِمٍ لو شكَرْتَها جزاكَ بها الرحمنُ ذو الفَضْلِ والمَنِّ
رَأَيْتُكَ تَبْنِى جَاهِداً فى قطيعتى ولو كنت ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْنِى
أَرَاكَ على الباقينَ تَجْنِى ضَغِينَةً فيا وَيْحَهُمْ إنْ مِتَّ من شَرِّ ما تَجْنِى
كأَنِّى بهمْ يَوْماً وأكثرُ قَوْلِهمْ أَيَا لَيْتَ أَنَّا حينَ يا ليتَ لا تُغْنِى

وواضح ما فى القطعتين من جزالة ونصاعة ، فقد صاغها صياغة متينةً مُجَلْجلة ، وسكبها فى الأوزان الضخام كالبسيط والطويل ، وتأثر فيها الخيال البدوى ، إذ ضرب الكلب الذى حاول الغدر بصاحبه مثلاً لهشام وخيانته لأخيه يزيد وأولاده .

وهذه الخصائص الموسيقية والتصويرية البدوية ، والألفاظ الفصيحة الرصينة الغريبة النادرة حيناً ، والتراكيب التى تَقْلَق فيها الجملة وتعوج ، ويغمض معناها ويلتوى كما يبدو فى البيت الأول من القطعة الأولى ، لأن الوليد لم يكن يهتم بتنقيح شعره – هى التى تميز شعره فى الفخر والعتاب المَشُوبَيْنِ بالتَّأنيب .

وقطع الرزق عن الوليد هو آخر ما اتخذه هشام لدفعه إلى الاستقالة من ولاية العهد . ولكن الأجل لم يمهل هشاماً ، فقد عاجله وهو لم ينجح فى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة . وإنما حال بينه وبين بلوغ أربه أنه أراد أن يَنْقُضَ عهداً مؤكداً ، ويبطل ميثاقاً معلناً ، فعز عليه ذلك ، فأزعجه وأرقه وأحْنَقَه ، وجعله يشك فى آخر حياته فيما كان يؤمن به من الأحاديث المخترعة التى زعم

(١٢٣) الاغانى ٧ : ١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٣ .

واضعوها أن الخلفاء ليس عليهم حساب ولا عقاب ، والتى صنعوها ردًّا على اتهام الخوارج للأمويين بأنهم كافرون[١٢٤] ، إذ يروى أنه كان يقول لأبى الزبير مولى بنى مروان ، وقد أسقط اسم الوليد وأسماء أصحابه من ديوان العطاء ، وعَلَت به السن ، وأشرف على الموت ، وأخذ يترقبه : « يا نِسْطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حَدَثَ بى حَدَثٌ ؟ قال : يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ! لابد من الموت ، أفترى الناس يرضون بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن له فى أعناق الناس بيعة ! فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ، ما أظن الحديث الذى رواه الناس : « إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار إلاَّ باطلاً »[١٢٥] .

وأما الوليد فبقى متعلقاً بولايته للعهد ، حفيظاً عليها ، متأبداً بالأزرق من الأردن حتى توفى هشام . ويستفاد من شعره الذى نظمه بعد أن امتد حبس هشام لعطائه وعطاء خاصته أنه أصابه شىء من الفتور والانكسار ، إذ أخذ يعاتب هشاماً عتاباً لطيفاً مسترحماً له ومستعطفاً أن يصله ببعض المال . ولكنه كان على يقين من أنه لن يرق له ، فقد كان هشام يغدق على كل من قصده إلاَّ الوليد ، فإنه كان يرده دائماً خائباً مخذولاً ، على كثرة ما راسل هشاماً وسأله ، يقول[١٢٦] :

أليس عظيماً أنْ أرَى كلَّ واردٍ ... حِيَاضَك يوماً صادِراً بالنَّوافلِ
فأرجِعَ مَحْدُودَ الرَّجاءِ مُصَرَّداً ... بِتَحْلِئَةٍ عن وِرْدِ تلكَ المناهلِ[١٢٧]
فأصبحتُ مما كنتُ آملُ فِيكُمُ ... وليس بلاقٍ ما رَجَا كلُّ آملِ
كذى قَبْضَةٍ يوماً على عَرْضِ هَبْوَةٍ ... يَشُدُّ عليها كفَّهُ بالأناملِ[١٢٨]

ثم ضاق الوليد بالعيش مطارداً محروماً ، وابتأس واكتأب وافتقر ، وكاد يتنازل عن ولاية العهد . وجعل يردد فى شعره أنه يود أن يُمْسِكَ الحياة على نفسه ، ويستخلصها من العذاب والشقاء ، ويفزع للاستمتاع بما بقى من أيامه ، مؤثراً صاحبته سلمى ، وكؤوسه ، وجواريه وحياته الهادئة البسيطة على الملك ، إذ استقرَّ فى نفسه أنه إلى زوال وفناء ، وأنه قد جلب له الهم والعناء . وإن فاز به فلن يطيل عمره ، ولن يعوضه ما ضاع من شبابه ، راجياً أعداءه أن يتركوه خليًّا مسالماً ،

---

(١٢٤) انظر معاوية فى الأساطير ، مقالة لسعيد الأفغانى ، بكتاب المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ص : ٣٩ .

(١٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٣ .

(١٢٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ١٣ .

(١٢٧) مصرداً : مُقَلَّلاً ، والتصريد فى العطاء : تقليله . والتحلئة : من حَلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحلئة طردها أو حبسها عن الورود .

(١٢٨) الهبوة : الغَبَرة . وعرض الهبوة : وسطها .

وأن لا ينفسوا عليه الموت جوعاً ، يقول (١٢٩) :

خُذُوا مُلْكَكُمْ لا ثَبَّتَ اللهُ مُلْكَكُمْ ... ثباتاً يُساوى ما حَبِيتُ قِبالا (١٣٠)
ذَرُوا لى سَلمى والطِّلاءَ وقَيْنَةً ... وكأساً ألاَ حَسْبِى بذلك مالا
أبِالْمُلْكِ أرجُو أنْ أُعَمَّرَ فيكمُ ... ألاَ ربَّ مُلْكٍ قد أُزِيلَ فَزالا
ألا ربَّ دارٍ قد تَحَمَّلَ أهلُها ... فأضحتْ قِفاراً والبقاعُ تِلالا
إذا ما صَفَا عيشى برملةِ عالجٍ ... وعانَقْتُ سلمَى ما أريدُ بَدالا
وخلُّوا عِنانى قَبْلَ عَيْرٍ وما جرَى ... ولا تَحْسُدونى أنْ أَمُوتَ هُزَالا (١٣١)

ويتمثل فى القطعتين الأخيرتين جميع خصائص شعر الوليد الصحيح فى الفخر والعتاب ، إذ حشد فيهما طائفة من الألفاظ الصعبة التى تحتاج إلى الاستخراج ، وبناهما بناء بدوياً تقليدياً ، وصبهما فى وزن الطويل ، واستوحى فيهما صور الجاهليين الصحراوية بتفاصيلها وظلالها ولغتها وتراكيبها ، فهو فى القطعة الأولى يشبه هشاماً فى كثرة أمواله ، وسعة نواله لزواره بالحوض الكبير الذى يؤمه السائلون الظِّماء إلى عطائه فيرتوون منه ، ويشبه نفسه وقد قطع هشام الرزق عنه ، وصده صدًّا قبيحاً بالبعير الذى قصد الحوض ليشرب منه ، فَطُرِدَ عنه ، ومُنِعَ من وُرُوده ، ويشبه تعلقه بهشام وانخداعه به بمن أمسك بشىء من الغبار ، وأغلق عليه كفه ، وهو فى القطعة الثانية يرى أن ولاية العهد التى يُنَازَعُ فيها لا تَعْدِلُ زمام نَعْلٍ . ويشبه نشوء الممالك واندثارها بعد ازدهارها بالديار التى تكون عامرة بأهلها ، فإذا رحلوا عنها ، أصبحت خاوية عافية . ويستعين فى البيت الأخير بمثل

---

(١٢٩) انظر الأبيات والاستشهاد بها على أن الوليد قالها بعد أن هم هشام بخلعه وأكثر القول فيه ، فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ بتاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢و . فى حين ذهب ابن قتيبة فى كتاب الأشربة ص : ٦١ ، وأبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٧٩ ، وأبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ص : ٤٤٥ ، وابن الأثير فى كتاب الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٧ ، والنواجى فى حلبة الكميت ص : ٨ إلى أن الوليد قالها حين حوصر بقصر البخراء . وليس بصحيح ، فإن الوليد حين حوصر بقصر البخراء ، أخذ مصحفاً ، وقال : يوم كيوم عثمان ، أو أقتل كما قتل ابن عمى عثمان ، ونشر المصحف يقرأ . انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٢ ، والأغانى ٧ : ٨٠ ، وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(١٣٠) قِبال النعل : زمامها ، وقيل هو مثل الزمام بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

(١٣١) قبل عير وما جرى ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال ٢ : ٣٦ : « إذا أُخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر ، كان لذلك قيل : فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى . قالوا : خص العير لأنه أحذر مايقنص . وإذا كان كذلك كان أسرع جرياً من غيره ، فضرب به المثل فى السرعة » . وقال ابن منظور فى لسان العرب ٦ : ٣٠٠ : العير : إنسان العين وقيل لحظها . وفى المثل : « جاء قبل غير وما جرى » ، أى قبل لحظة العين .

بدوى ، إذ يقول : «وخلّوا عِنانِى قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرَى» ، يريد من أعدائه أن يُسْرِعُوا فى الكفِّ عن مضايقته سرعةً تشبه اندفاعَ حمار الوحش فى العدو إذا أحسَّ الخطر ، أو أَنْ يَتَوَقَّفُوا عن إزعاجه قبل لحظة العين .

فعاملة هشام للوليد تأثرت بحسده لأخيه يزيد بن عبد الملك ، ومسابقته له فى الخلافة ، واعتقاده بأنه أصلح لها من يزيد ، وأجدر بها منه . فلما أفضى الأمر إلى هشام هفا إلى أن يرث ابنه مسلمة الخلافة عنه ، فَجَدَّ فى خلع الوليد ، ولجَّ فيه ، وألحَّ عليه ، واتبع أساليب مختلفة لقهره على التنازل عن ولاية العهد تراوحت بين الطعن فى الوليد ، والتشهير به ، واستخدام الدين سلاحاً لهتكه وتزهيد الناس فيه ، وحملهم على مناهضته والمناداة بعزله ، إلى قطع الرزق عنه ، وتضييق الخناق عليه .

وكان لسوء معاملته للوليد نتائج عديدة : منها أنه حَطَّم شخصية الوليد ، وشوَّه سيرته ، حتى لم يبق من أخبار حياة الوليد أثناء ولايته للعهد شىء يدل على حسن سياسته ورعايته للناس إلّا ما ذكره الطبرى من أن الوليد «كان وهو ولى عهد يُطْعِمُ من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ، ويَعْلِفُ دَوَابَّهم» (١٣٢) .

وثانية النتائج أن هشاماً ساعد على ضياع الشعر الذى مُدِحَ به الوليد خلال ولايته للعهد ، فقد تحامى هشام الشعراء الذين أحاطوا بيزيد بن عبد الملك ، ونَوَّهوا به ، ولاذوا فى حياته بابنه الوليد ، ورفض مديحهم له ، وصَبَّ عليهم سُخْطَه وغَضَبه ، ورَدَّهم أبشعَ رَدٍّ وأفحشه . منهم النابغة الشيبانى ، كان يتردد على يزيد بن عبد الملك ويشيد به ، فلما قُتِلَ يزيد بن المهلب دخل النابغة على يزيد ، فأنشده قصيدة طويلة هنأه فيها بقضائه على ابن المهلب ، فأمر له بمائة ناقة من نَعَمِ كلب ، وأن تُوقَرَ بُرًّا وزبيباً ، وكساه وأجزل صلته (١٣٣) . ثم وفد إلى هشام لمَّا وَلِىَ الخلافة ، فلما رآه قال له : يامَاضَّ ما أَبْقَتِ المواسى من بَظْرِ أُمِّه ؟ ألست القائل ليزيد بن عبد الملك :

هِشَامٌ والوليدُ وكلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لك الفناء لك الفِداءُ

أَخْرِجُوه عنى ، والله لا يُصِيبُ منى شيئاً أبداً ، وحَرَمه . ولم يزل طُولَ أيامه طريداً ، حتى ولِىَ الوليد بن يزيد فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته (١٣٤) وهى مدائح سقطت كلها ، ولم يحفظ القدماء شيئاً منها ، كما أن ديوان النابغة يخلو من أية قصيدة فى الثناء على الوليد !

ومنهم يزيد بن ضبة مولى ثقيف ، كان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه متصلاً به

---

(١٣٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ .

(١٣٣) الأغانى ٧ : ١٠٨ .

(١٣٤) الأغانى ٧ : ١٠٩ .

لا يفارقه . فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه مهنئاً بالخلافة ، فَمَثَلَ بين السِّماطين ، واستأذن فى الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشده ، وأمر بإخراجه . وبلغ الوليدَ خَبَرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ، وقال له : لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتنى . ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سَوَّغتك جَمِيَع غلَّته ، ومهما احتجت إلى شىء بعد ذلك فالتمسه منى (١٣٥) .

وجَفَا هشامٌ الشعراءَ الذين كانوا يَطُوفُون بالوليد أثناء ولايته للعهد ، ويكبرونه ، مثل سعيد ابن عبد الرحمن بن حسان ، فإنه كان إذا وفد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد فأَحْسَنَ نُزُلَه ، وأعطاه ، وكساه ، وشفع له . فلمّا حجَّ الوليدُ لقيه سعيدٌ فى أول من لقيه ، فَحَبَاهُ الوليد وقَرَّبَه ، وأمر بإنزاله معه وبَسَطَهُ ، ولم يأْنَسْ بأحدٍ أَنْسَهُ به (١٣٦) ولصلته القوية بالوليد نَبَذَهُ هشامٌ واطَّرَحَهُ ، إذ خرج سعيد مع جماعة من قريش إلى الشام فى خلافة هشام ، وسألهم معاونته ، فلم يصادفوا من هشام له نشاطاً (١٣٧) .

بل إنَّ هشاماً جَلَدَ بعض الشعراء الذين مدحوا الوليد وبَشَّرُوه بالخلافة ، كعبد الله بن عمر العبلى ، فإنه وفد على هشام فأجازه بمائتى دينار ، ثم مَرَّ بالوليد وهو ولى عهد هشام فقال له :

يا ابن الخليفة لِلْخَلِيـ ـفةِ والخليفةُ عنْ قَلِيلِ

فبلغ هشاماً فغضب ، وأَرسل خلفه ، فَرُدَّ من الطريق ، فقال له : مدحتنى فى شعرك فقلت لى :

وَوَقَاكَ الحُتوفَ مِنْ وارثٍ وا لٍ وأبقاكَ صالحاً ربُّ هُودِ

ثم مررت بالوليد فنعيتنى له . ثم ضربه مائتى سوط مكان كل دينار سوطاً . (١٣٨)

وقد فُقِدَتْ قصيدة العبلى اللامية فى مديح الوليد كما فُقِدَتْ قصائد النابغة الشيبانى الكثيرة فى مديحه !

ولم يسلم من كل الشعر الذى مُدِحَ به الوليد وهو وَلِىُّ عهدٍ إلّا بضعُ قصائد للفرزدق نَوَّه فيها به فى حياة أبيه وبعد مماته تنويهاً رائعاً ، وتغنى بعزته وسماحة أخلاقه العربية والإسلامية . وهو يقول فى إحداها مُقَدِّراً علو منزلته وتقواه وجلاله وأخذه بيد المستجير به ، وتأمينه للخائف ، ودفاعه عن الدين وحراسته له ، وحرصه على وحدة الأمة واجتماع كلمتها (١٣٩) .

---

(١٣٥) الأغانى ٧ : ٩٥ .
(١٣٦) الأغانى ٨ : ٢٧٥ .
(١٣٧) الأغانى ٨ : ٢٦٩ .
(١٣٨) الموشح ص : ٣٣٠ .
(١٣٩) ديوانه ١ : ٧٨ .

إلى خير مأتًى يطلبُ الناسُ خيرَهُ إليه من الآفاقِ مُجتمَعُ الرَّكْبِ
إلى باب منْ لمْ نَأتِ نطلبُ غيرَهُ بشرقٍ من الأرض الفضاءِ ولا غَرْبِ
إلى حيثُ مَدَّ الملكُ أطنابَ بيتِهِ على ابن أبى الأعياص فى المنزل الرَّحْبِ
إذا ما رأَتْهُ الأرضُ ظَلَّتْ كأنها تَزَعْزَعُ تَستَحْيى الإمامَ مِنَ الرُّعْبِ
دَعى النَّاسَ إلاَّ ابنَ الخليفة إنَّهُ من الناسِ إنْ بَلَّغْتنى أَرْضَهُ حَسْبى
وليسَ بلاقٍ مثلَه الدَّهْرَ خائفٌ أتاهُ على ماءٍ يسيرٍ ولا تُرْبِ
يُشَدُّ بهِ الإسلامُ بَعْدَ وَلِيِّهِ أَبِيهِ فأَمْسَى الدينُ مُلْتئمَ الشَّعْبِ

ويقول فى قصيدة ثانية مؤكداً حقه فى ولاية العهد ، فهو وارث الخلافة الحقيق عن النبى وراثة جاءته من طريق عثمان بن عفان ، ومشيداً بنسبه الوضاء ، وكرمه الغامر ، وفصاحته المعجبة(١٤٠) :

إنَّ الوليدَ وَلِىُّ عَهْدِ مُحَمدٍ كلَّ المكَارم بِالمكارمِ يَشْتَرى
لا تَطْلُبى بى غَيرَهُ مِمَّنْ مَشَى إنْ أنتِ ناقُ لَقِيتِه بالقَرْقَرِ(١٤١)
سِيرى أمامَك إنَّها قدْ مُكِّنَتْ لِيَدَيْهِ راجلةُ الإمام الأكبر(١٤٢)
وَرِثَ الخلافة سبْعة أباؤُه عَمروا وكلُّهُمُ لأَعْلَى المِنْبرِ
رَبٌّ عليه يَظَلُّ يخطبُ قائماً للناس يَشدخُهُمْ بِمُلْكٍ قَسْوَرِ(١٤٣)
وَرِثُوا مَشُورتَها لعثمانَ التى كانتْ تُراثَ نَبِيِّنا المتَخيَّر
من يأْتِ رابية الوليد ودِفَّاهَا مِنْ خائفٍ لجَريرةٍ لا يُضْرَر
أَلْواهِبُ المائة المخاضَ وعَبْدَها لِلْمُجْتديهِ وذُو الجنابِ الأخْضَرَ

ويقول فى قصيدة ثالثة مُصَححاً قيام الوليد بولاية عهد المسلمين ، ومُعَظِّماً إخلاصه فى الذَّبِّ عن الدين ، واجتهاده فى قمع العصاة المارقين ، مُشَبِّهاً فتكه بهم بفتك النبى باليهود من بنى النَّضِير ، مع إجلاله ليزيد بن عبد الملك ورسوخ سلطانه(١٤٤) .

وَرِثْتَ أَبَا سُفْيَانَ وابْنَيْهِ والذى بهِ الحَرْبُ شَالَتْ عَنْ لِقاحٍ حِيَالُها(١٤٥)

---

(١٤٠) ديوانه ١ : ٣٣٦ .
(١٤١) القرقر : الأرض المستوية .
(١٤٢) راجلة الإمام : يريد المنبر .
(١٤٣) شدخ : كسر . القسور : الأسد .
(١٤٤) ديوانه ٢ : ٩٢ .
(١٤٥) ابنا أبى سفيان : معاوية وابنه يزيد . والذى شالت الحرب به : مروان بن الحكم . وشالت : حملت . وحالت الناقة : لم تحمل .

أبوكَ أميرُ المؤمنينَ الذى بهِ رَحىً ثَبَتَتْ ما يُستَطاعُ زِيَالُها
إذا ما رَحىً زَالتْ بِقَوْمٍ ضَرَبْتها على الدِّينِ حتى يَستَقِيمَ ثِقَالُها
بِسَيْفٍ به لاَقَى بِبَدْرٍ مُحَمَّدٌ بَنِى النَّضْرِ فى بيضٍ حَديثٍ صقالها

ويقول فى قصيدة رابعة مُنْكِراً كل ما اتهم به ، ومُستَهْجناً قدح هشام وأعوانه فى سلوك الوليد ودينه ، فهو يصف المُتَخَرِّصِينَ عليه بالجَهْلِ والحُمْقِ ، ويجزم ببراءته من أحاديثهم الملفقة ، لما يعرف من طُهْرِ أَخْلاَقِه ونُبْلِها ، وحُسْنِ عقيدته وسلامتها ، وشِدَّة عَزيمته ، وكَثْرَةِ مَعْرُوفه[١٤٦] :

إنّى إلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ كُلِّها رَحَلْتُ وما ضَاقَتْ علىَّ المَطامِعُ
إلى القائِدِ الميمونِ والمُهْتَدى بِهِ إذا النَّاسُ مَتْبُوعٌ وآخرُ تَابِعُ
طُبِعْتَ على الإسلامِ والحَزْمِ والنَّدى ألاَ إنَّما تُبْدى الأمورَ الطَّبائِعُ
فِداكَ رِجالٌ أَوْقَدُوا ثم أَخْمَدُوا مَنَازِلُهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ بَلاقِعُ

وثالثة النتائج التى نشأت عن سُوءِ معاملةِ هشام للوليد ، وتَشْنِيعِه عليه أن يزيد بن الوليد ابن عبد الملك اعتَدَّ بالمطاعِنِ التى افتَعَلها هشامٌ على الوليد وأكَّدَها واستَنَد إليها فى تأليب الناس عليه[١٤٧] ، ثم أخذ الرواة والمؤرخون من أهل الأهواء بالتهم التى أَلْصَقَها به هشام ويزيد بن الوليد ، ونفخوا فيها ، وصنعوا أخباراً تؤيدها ، فغدا الوليد عندهم مِثالاً صارخاً للخليفةِ الفَاجِرِ الكافر ! بل إن رواة الشيعة واليمنية والعباسيين اخترعوا أخباراً تقطع بزندقة الوليد وإباحته ، وأنه كان يُؤْمِنُ بالمانوية والمجوسية ، ويَعْتَقِدُهما أَشَدَّ اعتقادٍ وأَصَحَّه ، منها هذا الخبر الذى رواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى على بن محمد النوفلى قال : حدثنى أبى عن العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقاً ، وكان رجل من كلب يقول بمَقالَتِه مَقَالةِ الثَّنَوِيَّة ، فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبى عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفِعَ رَأْسُهُ عنه ، فإذا ما يبدو لى منه حريرٌ أخضر ، فقال : أَدْنُ منى يا علاء ، فدنوت ، فَرَفَعَ الحريرَة فإذا فى السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنُّوشَادَرُ قد جُعِلا فى جَفْنِهِ ، فَجَفْنُهُ يَطْرِفُ كأنه يَتَحَرَّكُ ! فقال : يا علاء ، هذا مانى ، لم يَبْتَعِثِ اللهُ نَبِياً قبله ولا يَبْتَعِثُ نَبِياً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ، ولا يغرنك هذا الذى ترى عن دينك . فقال له الكلبى : يا أمير المؤمنين ، أَلَمْ أَقُلْ لك : إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث : قال العلاء : ومكثتُ أياماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه فى عَسْكَرِهُ يُشْرِفُ

---

(١٤٦) ديوانه ١ : ٤١١ .

(١٤٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ .

به ، والكلبى عنده ، إذ نزل من عنده ، وقد كان الوليد حَمَلَهُ على بِرْذَوْنٍ هِمْلاَج [١٤٨] أشقر من أَفْرَهِ مَا سُخِّرَ ، فخرج على برذونه ذلك ، فمضى به فى الصحراء حتى غاب عن العسكر ، فما شَعَر إلَّا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه مُنْفَسِخَةً عنقُهُ ميتاً ، وبرذونه يقاد حتى أسلموه . فبلغنى ذلك ، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه فِى أرض البخراء ، لاَ حَجَرَ فيها ولا مَدَرَ ، فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون ، فوالله لكأنه دُهْنٌ يَسيلُ على صفاةٍ من قَرَاهَتِهِ ، فعجبنا لذلك ، إذانْقَضَّ رجل من السماء عليه ثياب بيض ، فأخذ بِضَبْعَيْهِ [١٤٩] فاحتمله ثمَ نكَسَهُ ، وضرب برأسه الأرض ، فَدَقَّ عُنُقَهُ ، ثم غاب عن عيوننا ، فاحتملناه فجئنا به » [١٥٠] !

ومنها خبرٌ ثانٍ رواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى يعقوب ابن شريك قال : حدثنى عمى على بن عمرو قرفارة قال : حدثنى أنيف بن هشام بن الكلبى قال : حدثنى أبى قال : خرج الوليد بن يزيد من مَقْصُورةٍ له إلى مقصورة ، فإذا هو ببنتٍ له معها حاضِنَتُها ، فوثب عليها فَافْتَرَعَها ! فقالت له الحاضنة : إنها المجوسية ، قال : اسكتى ، ثم قال :

مَنْ راقَبَ الناسَ ماتَ غَماً وفازَ باللَّذةِ الجَسُورُ [١٥١] » !

والخبر الأول مَصْنُوعٌ ، بل هو أسطورة من الأساطير تناقض الواقع التاريخى ، فالزندقة الدينية المتمثلة فى اعتناق المانوية وغيرها من الديانات الفارسية القديمة إنما ظهرت وانتشرت بين الموالى الفرس فى العصر العباسى [١٥٢] ، والوليد لم تَقْتُلْهُ قُوَّةٌ غيبيةٌ خارقةٌ ، بل قَتَلَهُ أنصارُ يزيد بن الوليد ابن عبد الملك !

والخبر الثانى مَوْضُوعٌ ، يدل على وَضْعِهِ أن البيت الذى ينسب إلى الوليد أنه احتج به لإباحته ومجوسيته المزعومة ، ليس لشاعر أموى عاش فى أيام الوليد أو قَبْلها حتى يستشهد الوليد بشعره ، وإنما هو لِسَلْمٍ الخاسِرِ ، وهو شاعر عَبَّاسى المَوْلِدِ والمَنْشَأ ، مات سنة ست وثمانين ومائة [١٥٣] وهو الخبر الوحيد الذى رَفَضَهُ أبو الفرج ، وأكّدَ افتعاله ، إذ يقول : « وأحسب أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا

---

(١٤٨) الهملاج : الحسن السير فى سرعة وبَخْتَرة .

(١٤٩) الضبع : العضد .

(١٥٠) الأغانى ٧ : ٧٢ ، وانظر رسالة الغفران ص : ٣٣ .

(١٥١) الأغانى ٧ : ٦٠ ، وانظر النجوم الزاهرة ١ : ٢٩٨ .

(١٥٢) ضحى الإسلام ١ : ١٣٩ .

(١٥٣) الأغانى ١٦ : ٢٦١ ، وتاريخ بغداد ٩ : ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٥١ .

الشعر لسلم الخاسر ، ولم يُدْرِكْ زَمَنَ الوليد[١٥٤] » .

والغالب أن أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفى المتوفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة[١٥٥] هو الذى صَنَعَ الخبرين ، وَلَفَّقَ سلسلة رُوَاتِها ، للتشهير ببنى أمية ، فهو من كتاب العباسيين الذين كانوا يناضلون عنهم ، ويعيبون الأمويين ، وله مؤلفات فى ذلك منها «كتاب الرسالة فى تفضيل بنى هاشم ومواليهم وذم بنى أمية وأتباعهم»[١٥٦] ، «وكتاب الرسالة فى مثالب معاوية»[١٥٧] ، وكان من رؤوس الشيعة ، وله مصنفات فى المُبَيِّضَةِ من الشيعة وفى مقاتل الطالبيين[١٥٨] .

وكان العباسيون فى أَوَّلِ عَهْدِهم يهاجمون الأمويين ويتهمونهم بالضلال والإلحاد والانسلاخ من الدين ، إتهاماً قَوِيًّا ، يظهر فى خطب أبى العباس السفاح[١٥٩] ، وأبى جعفر المنصور[١٦٠] ، وداود ابن على[١٦١] وسليمان بن على[١٦٢] ، وعيسى بن على[١٦٣] ، ويظهر فى الخطب دعاة العباسيين وقادتهم كأبى مسلم الخراسانى[١٦٤] . وكان الرواة والعلماء يَتَزَلَّفون إلى أبى جعفر المنصور بِسَبِّ الوليد ، واختلاف الأخبار التى تقدح فى دينه ، وكانوا يَلْعَنُون الوليد فى مجلس أبى جعفر المنصور ، وكان يلعنه معهم[١٦٥] . وقد زَيَّفَ رواة العباسيين حديثاً رَمَوْا فيه الوليد بالتَّجَبُّر والكُفْر ، وَجَعلوا تَوَلِّيَهُ الخلافة نذيراً بانهيار الدولة الأموية ، وبشيراً بقرب قيام الدولة العباسية ، وهو حديث رواه ابن حنبل فقال : حدثنا ابن عباس قال : حدثنى الأوزاعى ، وغيره عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ولد لأخى أم سلمة زوج النبى ﷺ غلام . فَسَمَّوْهُ الوليد ، فقال النبى : «سَمَّيْتُموه بأسماء فَرَاعنتكم ! ليكونَنَّ فى هذه الأمة رجلٌ يقال له :

---

(١٥٤) الأغانى ٧ : ٦١ .

(١٥٥) الفهرست ص : ١٤٨ ، وتاريخ ٤ : ٢٥٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٣ ، وميزان الاعتدال ١ : ١١٨ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٩ .

(١٥٦) الفهرست ص : ١٤٨ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٧ .

(١٥٧) معجم الأدباء : ١ : ٢٢٧ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٩ .

(١٥٨) الفهرست ص : ١٤٨ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٥٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٨ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٩ .

(١٥٩) الأخبار الطوال ص : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٤٢٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٩٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ .

(١٦٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٨ : ٩١ ، ٩٢ .

(١٦١) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٢٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٥ .

(١٦٢) العقد الفريد ٤ : ٩٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٦ .

(١٦٣) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٦ .

(١٦٤) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٦١ .

(١٦٥) تاريخ الطبرى ٨ : ٩٦ .

الوليد لَهُوَ شرٌّ على هذه الأمة من فرعون لقومه» (١٦٦)

وإسنادُ الحديث ضعيف لانقطاعه ، فَسَعِيدُ بن الْمَسَّيب لم يدرك عمر بن الخطاب إلّا صغيراً ، ولم يَرْوِ عنه ، وإنما روى عن غيره من الصحابة الذين ذكرهم ابن سعد (١٦٧) . والراجح أن الحديث موضوع (١٦٨) .

ونَقَل عُلماءُ اليمنية كالأزدى (١٦٩) ، وعلماء الشيعة كالشريف المرتضى (١٧٠) أن الأوزاعى سأل الزهرى : أَيُّ الوليدين هو؟ فقال : إن استخلف الوليد بن يزيدَ فهو هو ، وإلّا فهو الوليد بن عبد الملك (١٧١) ! .

فلما استَتَبَّ الأمْر للعباسيين ، وثَبَتَ سلطانُهم ، عزف خلفاؤُهم وأمراؤُهم وَوُلاتهم عن قَذْفِ الأمويين بالخروج على الإسلام ، فَخَلَتْ خُطَبُهُم من تَكْفِير الأمويين (١٧٢) ، وصَدَّ المهدى والرشيد الرواة الذين كانوا يُداهِنُونَهما عن التَّعْرِيضِ بالأمويين وتَجْرِيحهم ، بل إنهما انتصرا للوليد ، ونَفَيا عنه نُهْمَةَ الزَّنْدَقَةِ ، ونَزَّهَاهُ عنها ، إذ يروى المدائنى أن المهدى كان إذا ذُكِرَ الوليدُ فى مجلسه يقول : «رَحِمَهُ اللهُ ، ولا رَحِمَ قاتله ، فإنه كان خليفةً مُجْمعاً عليه . وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً ، فقال : إنَّ خِلافةَ الله أَعَزُّ وأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُوَلِّيها مَنْ لا يؤمن» (١٧٣) ، ويروى المدائنى أن ابناً لِلْغَمْرِ بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد فقال : مِمَّن أنت ؟ قال : من قُرَيش ! قال : مِنْ أَيِّها ؟ فأَمْسَكَ . قال : قُلْ وأنت آمِنٌ ، ولو أنك مَرْوَانِيٌّ ! قال : أنا ابن الغَمْرِ بن يزيد . قال :

---

(١٦٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ ١٠٩ ، وانظر الحديث فى تاريخ الموصل ص : ٥٦ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ ظ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٣٠ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢٠ و ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

(١٦٧) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٠ .

(١٦٨) انظر تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على الحديث فى سنة الإمام أحمد بن حنبل ١ : ١٠٩ .

(١٦٩) تاريخ الموصل ص : ٥٦ .

(١٧٠) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٩ .

(١٧١) انظر وَضْعَ الأمويين والعباسيين والشيعة فى الأحاديث فى فجر الإسلام ص :٢٧٥ ، وضحى الإسلام ٢ : ١٢٣ .

(١٧٢) انظر خطبهم فى العقد الفريد ٤ : ١٠١-١٠٧ ، وجمهرة خطب العرب ٣ : ٥٠ ، ٨٠ .

(١٧٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٥ ، وانظر الأغانى ٧ : ٨٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ – المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس . الورقة : ١١٢ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

رَحِمَ الله عَمَّك ، ولَعَنَ يزيد النَّاقِصَ وقَتَلَةَ عَمِّكَ جميعاً ، فإنَّهم قَتَلُوا خليفةً مُجْمعاً عليه »[١٧٤] .

وفى آخر خلافة الرشيد وأول خلافة المأمون تعلق أهل السنة والجماعة بمعاوية بن أبى سفيان ، فَعَظَّمُوه وأَشَادُوا بسياسته إعراباً عن ضيقهم بالعباسيين ، ومخالفتهم لهم ، فعاد العباسيون يَطْعَنُونَ فى دين الأمويين ، ويُكَفِّرونَهم ويُجَرِّمُونهم ، وزَيَّنُوا للرواة والإخباريين أنْ يَنْقُدُوهم ويُشَنِّعُوا عليهم ، فَشَوَّهُوا تاريخهم وَمَسَخُوا شخصياتهم ، فلم تبق مأثرة أو حسنة للخلفاء الأمويين إلَّا نَقَضُوها ونَسَفُوها نَسْفاً !

وقد تَنَّبه كثير من المؤرخين المتأخرين إلى أن الأخبار التى تَقْدَحُ فى دين الوليد مصنوعة ، فَتَوَقَّف فريق منهم عندها ، وتحرَّجُوا من روايتها ، ولم يستطيعوا القَطْعَ بَرأْى فيها ، منهم ابن شاكر فإنه يقول : « ربما اتَّهَمه بعضهم بالزندقة والانحلال ، والله أعلم ! »[١٧٥] واليافعى فإنه يقول : « ذكروا عنه أشياء قبيحةً فى الدين والعِرْضِ أكْرَهُ ذِكْرَها ، واللهُ أعلم بذلك ! »[١٧٦] ونَقَلَ ابنُ كثيرٍ تعليقَ ابن شاكرٍ الكتبى واكتفى به[١٧٧] . ولكن فريقاً آخر منهم رفضوها ، وجَزَموا بِوَضْعِها ، وأشار بعضهم إلى أنها أُثِرَّ من آثار السياسة ، منهم ابن الأثير فإنه يقول : « وقد نَزَّه قَوْمٌ الوليد بن يزيد مما قيل فيه ، وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قِيلَ عنه ، وأُلْصِقَ به ، وليس بصحيح »[١٧٨] ، والذَّهَبى فإنه يقول : « لم يصح عن الوليد كُفْرٌ ولا زَنْدَقَةٌ »[١٧٩] وابن خلدون فإنه يقول : « لقد سَادَت القالة فيه كثيراً ، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : إنها من شَنَاعاتِ الأعداء ، ألصقوها به[١٨٠] » ، وابن تغرى بردى فإنه يقول : « ذكرَ عنه بعضُ أهل التاريخ أُموراً أَسْتَبْعِدُ وُقُوعَها »[١٨١] وكرر السيوطى[١٨٢] رأْىَ الذَّهبى واقْتَصَر عليه .

---

(١٧٤) الأغانى ٧ : ٨٢ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩ ، وتاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٦ .

(١٧٥) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ حـ ١٢٥ الورقة : ١٩ ظ .

(١٧٦) مرآة الجنان ١ : ٢٦٤ .

(١٧٧) البداية والنهاية ١٠ : ٦ .

(١٧٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١٧٩) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٩ .

(١٨٠) تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٥ .

(١٨١) النجوم الزاهرة ١ : ٢٩٨ .

(١٨٢) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .